
Desnily
لا ترتشف من قهوتي مجددا ، وإلا .. لا صفقات بيننا "
أتممت مغادرتي وكأني لم أستمع لقولها ، وينتابني شعور بغيض تجاه تلك المرأة ، وقلبي يلهج بالدعاء بعدم قبول الصفقة كي لا أراها مجددا .
الآن علمت تفسير حلمي ، إنها هي النيبق .. التنين المجنح ، التي حلمت به صباحا .
فريدة ، هي حقا فريدة في قلة الذوق ، هل إنتبهت حقا لرشفتي من فنجانها ، لم تمتعض وهي تلامس موضع شفتي .
شعرت بالغثيان لمجرد الفكرة ، أن تتلامس شفاهنا ، أنا .. و .. تلك .. الفريدة
عشق بالمقلوب
هالة حمدي
روائع
الروايات الرومانسية



عشق بالمقلوب

هالة حمدي

رواية حصرية على جروب روائع الروايات الرومانسية

/https://www.facebook.com/groups/rawae3rewayat

تصميم الغلاف :

Nily

تصميم الداخلي :

ضحى حماد

التعبئة والرابط الإلكتروني :

ضحى حماد



تحية و شكر من القلب للادمن

شكر وامتنان كبير لقارئاتي ولكل من دعمني ولو بكلمة

شكر خاص ل

العذوب سليمان

فاطمة ابراهيم

بدر البدور

***

أغلقتُ القفص بإحكام ، تتبعت حركته بعيني ، رأسه المهتزة ، ألوانه التي حرصت على إختيارها مبهجة .. الأزرق المتداخل مع الأصفر والأحمر ، تدريبه الذي أصبح جزء هام من يومي .. تعليمه الحيل والكلمات ..

هو رفيق سنواتي الماضية ، وكاتم أسراري ، أقص عليه كل شئ يخص عملي ، وخوفي ، و قلقي ، وقهري ..

أحيانا أشفق عليه من وحدته ..

و أحايين أخرى أشفق على حالي " أنا " ووحدتي ..

على الأقل ، أنا أهتم به و أدلله ..

لكن أنا .. لا أملك تلك الرفاهية ...

" فريدة ، فريدة "

صوته الرخيم دغدغ أمنياتي ..

فهو الحبيب الوحيد بين العديد من الطامعين ..

والمؤنس الذي يشاركني بيتي ..

" فريد " ..

هكذا أسميته ، ففريد دوما لفريدة .

نحن من تفردنا بالوحدة ..

" جائع "

تلك هي الكلمة الثانية التي تدرب عليها .. ولا أعلم هل هي مرتبطة بقدرته علي فهم الكلمة وربطها بأحاسيسه ام لا ...

إلا أنه حان وقت طعامه حقا ...

فتحت القفص مجددا .. فباغتني بحركة خاطفة ليخرج بعيدا ويجوب غرفتي ...

ولحسن حظي .. النوافذ مغلقة ..

وكذلك باب الغرفة ..

ظل يردد

" فريدة .. فريدة "

لأردد أنا الأخرى وكأنه يعي كلماتي ...

"هيا الى القفص يا روح فريدة "

حاولت مجاراته الى أن اوقعت به داخل قفصه مجددا ...

" لا تتذاكى يا فريد مرة اخرى .. أنت لا تدرك مكري بعد .. لن ترى صفية ليومان .. "

سمعت صفيره .. هو يحب صفية .. أعلم ذلك جيدا .. لذلك سيعاقب بحرمانه منها ...

ثم ردد

"صفية .. صفية .."

حسنا .. ها هي نقطة اخرى تفوز بها صفية .. حب حيواني الأليف أيضا ..

سمعت نقيقه ..

عينه المتسعة بلونها القاتم ...

رفرفة جناحاه ..

احيانا أحسده .. فلو تركته يطير سيحلق بحرية
ولن يعود لذاك القفص مجددا ..

بينما أنا .. أسيرة لماض يقيد روحي .

صوتها ينتشلني من احلامي .. حيث اقف بقامة
مشدودة أواجه عدوا لا أعلم ماهيته .. تنين ..
فينيق اسطوري ..

أسير نحوه وكأني مقاتل خارق القوى .. وإذا بذيله
يسقطني أرضا ..

إستفقت من نومي .. وكدت أسقط من فوق سريري
تزامنا مع دفعها وهزها لي كي أستيقظ ..

" لقد صحوت .. أقسم بأني إستيقظت يا أمي "

"لم تبدُ لي هكذا "

نظرت إليها بتشكك .. فهي كعادتها تريدني
أمامها ليل نهار .. تطربني بأني أماثل والدي طولا ..
وجمالا (قطعا) .

فردت جسدي مجددا على سريري .. أمرر يدي فوق
عيني ورأسي ..

" القهوة "

لقد علمت كيف تجذب إنتباهي .. تلك
الماكرة ..

قمت فربتت على ظهري .. ثم خللت شعري
بأصابعها .. ثم جذبته بقوة بعد أن إنتبهت لعيني
المغلقة .. مع صرخة عنيفة

" هيا "

ذهبت -هي- فقمت -أنا-..

انتفض جسدي إثر صرخة أخرى من الخارج بصوتها .. فمددت يدي نحو قهوتي ..

اشم رائحتها .. (رائحة القهوة .. لا أمي)

لم تخبرني يوما بأن أبي كان يعشقها .. او هي مثلا تحبها .. ربما اميرة تدمنها .

لا .. لا يحب احدهم القهوة مثلي ولا أعلم لذلك سببا ..

ربما لونها الذي هو بين الابيض والاسود .. وهي المنطقة التي أمثلها ..

ربما لطعم الهيل الذي يتخللها فينعش مسامي .. الهيل المنبعث من بين حبيباتها الثمينة ..

إرتديت قميصي .. مع رشفة من كوبي .. من قال أن القهوة تشرب مُرة .. ماذا لو حُلت بملعقة سكر ..

من قال أنها يجب أن توضع في فنجان .. في كوب أشهى ...

تناولت بنطالي .. حزامي .. جوربي ..

ورشفة اخرى ...

قهوة بالهيل .. ملعقة سكر .. لون بني فاتح يعبُر صفاء الكوب الشفاف ...

هكذا يكون مذاق القهوة .

فرشاتي تهذب شعري الثائر . ..

أخيرا .. انتهيت ... وقبل رنين هاتفي لتذكيري بموعد الخروج ...

إبتسامة سكنت ثغري .. وهذا الخاطر يجول برأسي وأنا أغلق باب غرفتي ...

" ستسعد بك أمك كثيرا يا يونس "

***

الفصل الأول

مسحتُ الرواق بعيني ، أبحث عن عامل البوفيه ، أتحسس إدماني لقهوته ، وربما ألتمس حيرته التي تعلو وجهه يوميا والتي أصبحت غاية لي كل صباح ..

" هاي ، أنت .. أعد لي قهوتي ، أين كنت ؟ "

بدأت ملامح الملل في الظهور علي وجهه ، هكذا نبدأ دائما .

" بالحليب ، سادة أم زيادة سيدتي "

رفعت حاجبي بتسلية ، ها هو يسألني سؤاله المعتاد بود ، يسير وفق خطتي المعهودة .

" بالحليب ، وزيادة "

قام بإعداد فنجان لي ، بينما يعد كوبا آخر من القهوة يتنافى تماما مع مواصفاتي .

قدم لي الاثنين فغمزت له ، أشاكسه

" لقد أفسدت متعي ياهذا ، لا أريد "

ثم غادرت أحمل هاتفي أتحدث فيه ، أعطي لذاك البسيط ظهري بعد أن لمحت حيرته التي أستمتع بها صباحا .

أخذ العامل يسب ويلعن يومه ، سأتسبب له في شلل رباعي الاطراف ذات يوم ، بعد أن إحطاط لترددي الدائم ، أدهشته باللامبالاة ، وصل لأذني همسه الحانق

" أعني يا رب "

داخل المكتب ..

أغمضتُ عيني بإنهاك بات يلازمني منذ وطأت قدمي هذه الشركة .

بدأت المهنة من أول سُلماتها إلى أن وصلت لمنصب لا بأس به ، ساعدني إعتمادي على نفسي منذ الصغر ، على تحملي لهذه المسؤلية الكبيرة .

مديرة القسم القانوني ، كل ورقة كبيرة ، أو صغيرة لابد أن تمر علي .

ومن غيري يدرك أهمية الأوراق ..

فبورقة خرجت من منزلي ، و إستعادتها كانت طوق النجاة .

دلكتُ رقبتي بعد أن رتبت عدة أوراق هامة في ملف مخصص لها ، أشعر الآن بحاجتي لكوب القهوة ، صدقا لم انو أن أترك الكوبان لولا تذاكي هذا العامل ، لقد أفسد يومي بحيلته .

أغلقت الهاتف الداخلي بعد أن طلبت منه إعدادها لي .. إسترخيت أنتظر مندوب شركة هامة ليسلمني عقود و أوراق تنقصني لأغلق الملف أمامي .

***

دلفتُ الى وجهتي ، إصطدمت بأحدهم يحمل فنجان من القهوة الشهية ، رائحتها نبهت مخي وحفزت خلاياي فكنت حتما أحتاجها لتخفف توتر يومي .

تماسك العامل كي لا تسكب منه ، رددت بهدوء

" أنا آسف ، لم أنتبه "

" لا بأس سيدي "

نظرت لساعتي ، لقد أتيت في موعدي المحدد

" مكتب الأستاذة فريدة من فضلك ! "

إلتمعت عيني العامل

" تقصد أستاذة فريدة مديرة القسم القانوني ، أخر

الرواق علي اليمين "

أومأت برأسي وهممت بالمغادرة فاستوقفني

" هلا أسديت لي معروفاً ، هل يمكن أن تحمل تلك القهوة إليها سيدي ، ليس إمتهانا مني لك لاسمح اللّه ، ولكنها ستعيدني بها آلآف المرات "

عقدتُ حاجبي بحيرة

" وما شأني أنا ؟ "

" هي إنسانة شديدة التردد ، و أنا عامل لاحول لي ولا قوة ، هي لن تمرر فعلتي هذا الصباح "

مللت من ثرثرته ، لقد كلفني هذا عشر دقائق إضافية في جدال لا جدوى منه ، تناولت قدح القهوة ، وقصدت مكتبها .

الرائحة علقت بحواسي ، ما باله هذا الرواق لا ينتهي ، قربت القهوة من أنفي أستلذ برائحتها ، ولم تكد تمر بالقرب من شفتيّ حتى تذوقتها ..

علامات الإستعجاب علت وجه سكرتيرة المدعوة فريدة عندما دلفت لمكتبها ، تنظر لفنجان القهوة بيدي بتساؤل بعد أن أخبرتها بهويتي .

أذنت لي بالدخول ، مكتب حديث ، أوسع و أفخم من مكتبي ، بتصميم مستحدث بهيج ، عملي ، يليق بصاحبته .

قامت لترحب بي ، تستند بكفيها فوق مكتبها ، تشير الي بالجلوس ، توجه نحوي نظرات حادة ، لا أعلم سببها .

نظرتُ إلى كوب القهوة الذي يحمله ، مده اليّ ، تناولته باستغراب

" العامل أرسله معي حالما سألته عن مكتبك "

نظرتُ لفنجاني المحبب والذي نقص قليلا وعلامات القهوة متعلقة بحافته من جهة واحدة وكأن أحدهم عبث به .

تمتمت

" هذا اللعين ، يُفلت من قبضتي مرتين علي التوالي هذا اليوم ، سألقنه درسا ..."

" عفواً "

نفضت حنقي وإنتبهت لمحدثي ، لا يبدو لي مندوب أبداً ، سمعته يعرف نفسه

" يونس فاضل ، مدير الشئون القانونية لشركة .... ، سعدت بلقائك سيدتي "

ربما سيعلق أسمه في بالي كثيرا ، أسم غير متداول و آسر

" سيد يونس ، توقعت حضور مندوب بالاوراق "

" الأوراق هامة لصفقة هامة وددت مناقشتها معكِ أولا قبل عرضها علي الرؤساء "

أشرتُ له بالجلوس وشرعت في طلب مشروب له ، تأكد ظني أنه مرتشف قهوتي عندما طلب مثلها لنفسه .

وضع حقيبته علي الطاولة أمامه ، أستخرج مجموعة أوراق مرتبة ، ناولني إياها ، إلتهمت

عيني أسطرها بينما إلتهمت شفتيه قهوته ..

" سأطلع رئيسي بالبنود والشروط سيد يونس ، عرضكم قيد الدراسة ، شرفت "

***

لم يمض على قدومي إلا دقائق قليله وتصرفني بتلك الطريقة ، شعرتُ بالإهانة

" ألن نراجع العقود ؟ "

" وكأن قبولنا بصفقتكم أمر واجب ومسلم به ! "

" لم أقصد ، دعيني أوضح لكِ "

أنهت الحديث بصلافة ، تدفع الملف نحو وجهي تخبرني

" الأوراق تتحدث نيابة عنك سيدي ، لقد فهمت "

رفعت حاجبي بدهشة ، يبدو أن إرسال المندوب كان سيفي بالغرض ، ربما وفر وقود سيارتي ، وقيادتي في الزحام .

هممتُ بالمغادرة ، كدت أفتح الباب ، وصل الى مسامعي صوتها الحانق

" لا ترتشف من قهوتي مجددا ، وإلا .. لا صفقات بيننا "

أتممت مغادرتي وكأني لم أستمع لقولها ، وينتابني شعور بغيض تجاة تلك المرأة ، وقلبي

يلهج بالدعاء بعدم قبول الصفقة كي لا أراها مجددا .

الآن علمت تفسير حلمي ، إنها هي الفينيق .. التنين المجنح ، الذي حلمت به صباحا .

فريدة ، هي حقا فريدة في قلة الذوق ، هل إنتبهت حقا لرشفتي من فنجانها ، لم تمتعض وهي تلامس موضع شفاهي .

شعرت بالغثيان لمجرد الفكرة ، أن تتلامس شفاهنا ، أنا .. و ..تلك .. الفريدة .

****

أتصفح كتاب القانون أمامي بهدوء متمعنة في كل مواده ، كنت بحاجة لمراجعته رغم حفظي له جيدا ، ربما هو طبع التردد المتأصل بي الذي يجعلني أسترجع معلوماتي على الدوام .

إبتسمت عندما تذكرت ملامحه - يونس - وهو يجذب الأوراق من بين يدي فور نيله توقيعي .

ثم علت ضحكاتي وأنا أذكر نظرة البلاهة فوق وجهه وهو يرى ترددي بأي قلم أوقع العقد ..

هل بالقلم ذو الخط الرفيع أم السميك ..

كان ما ينقصه صفعي بعد أن غادر الرؤساء متممين صفقة الشركتين ..

تركت الكتاب وثبت فاصل باللون الأحمر لأعود

لتلك العلامة لأكمله فيما بعد ، فتحت التلفاز وعدت جوار كتابي لأستعيض بتلك العلامة الحمراء بعلامة زرقاء مرددة

" هكذا افضل "

تنهدت بأسى .. أعاني الملل .. أمضي وقتي في عملي بينما تأسرني الوحدة بدونه .. لولا فريد وشقاوته لما عدت لمنزلي ..

ترحابه وجمال طلته وصوته الشغوف لعودتي .. ما يجعلني اهم الخطى اليه.

أخرجني رنين هاتفي من شرودي

" مرحبا صفية .. كيف الحال .. أنا بخير "

ثم تعالت ضحكاتي

" لم تريّ وجهه أثناء الإجتماع ، والجميع يشيد بي بينما هو يجلس ككيس الفواكة المزينة للجلسة "

ترددت قليلا قبل أن أجيب

" إنه العمل ، إن لم أقدم أفضل ما لديّ ، سيأتون بمن هو أفضل "

هكذا أرى الحياة ، وهكذا هي حساباتي ..

" أنا لا أثق بأحد صفية ، فالضربة تأتي من القريب كما تعلمين ، و الغريب لن يتردد للحظة في ايذائك "

أستمع لردها بينما أرسم بإصبعي دوائر فوق الكتاب جواري

" لقد تألمت كثيرا حتى أصل لما أنا عليه الآن ، ... أجل .. فليكن الغد بعد إنهاء عملي "

أغلقت الهاتف ، أتوجة نحو غرفة نومي الواسعة ، أستنشق الهواء برضا ، فقد نلت ذلك المنزل بعد عناء طويل ، تكلفته شرخا لن يُجبر في رحمي .

****

أتناول غدائي بصحبة هاتفي ، أتحدث الى والدتي المستاءة لتركي إياها وحيدة اليوم .

"سأعود على العشاء أمي .. لا تقلقي أنا بخير .. ليس لدي وقت سأنهي غدائي لأذهب الى لقاء عمل هام "

أبعدت الهاتف قليلا عن أذني .. توقظني بصراخها وكذلك تطعمني ...

لقد تخطيت الثلاثين من عمري ولازالت تعنفني كطفل صغير .

أغلقت الإتصال لأشاهد فتاتين يدلفان متشابكتين الأصابع ، من يراهم يحسبهم شخص واحد من شدة إلتحامهم .. لحظة .. ، أهذه فريدة .. !

ضيقت عيني كي أتيقن من ظني الذي صدق.

إنها هي ، ثوب ناعم لايتفق مع البدل العملية التي ترتديها في العمل ، حجاب بهيّ يعانق وجهها الأبيض ، وحذاء أنثوي جذاب يناقض أحذيتها الرياضية البسيطة .

دون شعور إنتبهت لأني قد حفظت تفاصيلها رغم رؤيتي لها مرتين أو ثلاث ربما .

رأتني ، فأحنيت رأسي في إيماءة أحييها ، شاهدت نظرات صديقتها لي ، وحديثهما الذي كما يبدو عني .

لم أجلس طويلا بعد رؤيتي لها ، ربما لو جلست أكثر لعلمت لون شعرها الذي يعلوه الحجاب .

***

" إنه أنيق .. "

بادرتني صفية الكلمات فور إنصرافه

" مدير للشؤن القانونية لشركة كبيرة يا صفية ، كيف لا يبدو أنيقا ! "

" أقصد وسيم "

زممت شفتيّ بامتعاض لأهمس لها

" وثقيل الظل ، ولا أستسيغه ، كدواء السعال المر "

" ياله من تشبيه ، فلتختصري قولك و قولي أكرهه "

لسعتني كلمتها وشعرت بحرقة الماضي لأقول

" بعد ما حدث لي قديما ، لم أعد أكره أحد ، إلا من آذاني يا صفية "

" لقد عانيت كثيرا بعد وفاة جدتك ، أشهد بذلك ، لكنك تحتاجين لأسرة بعد فقدها ، وفقد أقاربك ، لماذا لا تتزوجي يا فريدة ؟ "

نظرتُ لصحني ، تناولتُ اللحم ، أبدو بخير ولكني لست كذلك

" الكل طامع يا حبيبتي ، أتظنين أن هناك رجال ، عفوا لقد نفذوا "

شاهدت إبتسامتها

" بل أنتِ من نفذ شحن عقلك أيتها البلهاء ، ماذا عن زوجي ، رجل وقور ذو رأي صائب وعقل نافذ "

أظهرتُ الملل في صوتي

" كُفي عن إستعراض محاسنه أمامي يا صفية ، زوجك ليس متحرر بل متسلط ، إلبسي هذا .. إمتنعي عن ذاك ، لا تذهبي اليوم لملاقاة فريدة "

ثم تركتُ شوكتي بحدة لأردف

" أنا لا أطيقه "

أشارت اليّ بالتوقف

" كُفي أنتِ عن المراوغة فقد كان نعم العون لكي لتتخلصي من هؤلاء المحتلين المغتصبين لمنزلك ، ولولا حيلته لما عاد إليك عقد شقتك وتمكنتِ من بيعها "

أذعنتُ لكلامها

" نعم .. لا أنكر .. ، ولا أنكر إقراضه المال لي بدون أوراق تضمن حقه ، ولا وقوفه جواري كي أحظ بعمل كعملي ، كان ينقصه أن يتزوجني ويتكفل بي "

" لا بد أن أسجل تلك الكلمات ، سيسعد بها كثيرا "

" لن أتردد في قولها له ما حييت ، زوجك يستحق ، ليتني أجد رجلا مثله "

ثم ترددت بعدها لأسحب قولي

" ذلك لا يمنع أيضا انه متسلط "

***

الفصل الثاني

مشكلات من كل حدب وصوب تواجهني ، إستنزفت كثيرا اليوم ، عدتُ لمنزلي متأخرا ، والدتي نائمة ، هدوء يعم المكان ، وهذا ما أحتاجه .

نلتُ حماما دافئا ، تمددت فوق سريري مسترخيا ، أريد المفاضلة بين أفكاري .. اليوم أصبحت عاطلا ..

يبدو أن وجه المدعوة فريدة (وجه الخير) .. كان نذيرا لكل خير رأيته في يومي .

مكالمة قلبت الطاولة فوق رأسي ، أوراق هامة

سُربت من مكتبي فدفعت الثمن منصبي ، رئيسي لم يتقبل أعذار ، أو وعد بإيجاد الفاعل ، فخسارته آلآف الجنيهات لن يكررها ولو كان بالخطأ .

تنهيدة شقت صدري .. أي عمل سيقبل بي ، بل وأي منصب سأشغل ، عليّ البدء من جديد .

أمي لن تحتمل عناء البحث عن عمل فجُل ما جمعته من عملي على مدار سنوات جمدته في تلك الشقة وسيارتي .

الأرق والأفكار تلاحقني ، وتعددت السيناريوهات ، والطرد واحد.

****

وصلتُ مطعمي المفضل بإنتظار قدوم صفية ، إنتبهت علي صوت أحدهم يجذب كرسي ويجلس فوقه .

" مرحبا يا فريدة "

هكذا بدون ألقاب يدعوني فريدة بلا إحترام

" من رفع التكليف بيننا سيد يونس "

" أنا ، الأحترام ليس بالألقاب "

" ربما بالاستئذان قبل الجلوس ، هل أنا في مواعدة معك ، هل بيننا لقاء عمل ، لا هذا ولا ذاك ، لماذا تمنح نفسك الحق في إقتحام طاولتي مجردا إياي من لقبي ، أنا لا أقبل التباسط مع الغرباء "

عيناه .. ربي .. مسحة الحزن العميقة المحتلة مقلتية جعلتني أبتلع باقي كلماتي و أستمع إليه

" أنا أعتذر ، لكن أنا بحاجة لمساعدتكِ ، لقد طردت من عملي "

شعرتُ بالأسى لأجله ، لابد من أنه متزوج رغم خلو يده من أية خواتم ، و لديه أطفال يعولهم

" لقد علمت بطبيعة الحال ، فصلك عن عملك أصبح علكة الأقسام القانونية جميعها "

شعرتُ بضيقه

" سأطلب عصير ، ماذا تريد "

" قهوة "

أتى النادل فقلت له

" إثنان قهوة "

إلتفت إليه لأردف

" مديري يثق بي تمام الثقة ، سأطلب منه ضمك اليّ ضمن فريقي القانوني ، أنت قامة لا يُستهان بها ، قد نستفيد منك في معرفة ثغرات شركتك السابقة "

" هل عملي مقابل وشايتي وفضح أسرار عملي السابق "

إستشرفني بطوله بعد أن وقف بحدة

" شكرا لمساعدتكِ .. فريدة "

ألقى أسمي مجردا على مسامعي متسببا في رفع ضغطي ، فأنا لا أتنازل عن الحدود التي تضعها الألقاب ضمنيا .

صادف خروجه دخول صفية التي إشتمت الدخان المنبعث من أذنيه فور مروره جوارها ، ووجدتني أنتظرها ففطنت أنني سبب إشتعاله

" ماذا فعلتِ له ؟ "

قصصتُ عليها ما جرى ، فاجئتني بردة فعلها ، شفاهها المنفرجة ، حاجباها المرفوعان ، أشعرتني أنني قمت بفعل فاضح.

" هل تعلمين قدر إساءتكِ له ، أنتِ لا تتوقفين عن إهانته ، هو رجل ، جاء يطلب مساعدتك وهذا كفيل بشعوره بالدونية ، ثم أتممتي الأمر بكلماتكِ .. ، لا أعلم سببا لإستمرار صداقتي بكِ للآن يا فريدة "

هل كنت مؤذية لهذه الدرجة ، حسنا ، لا أبالي

" لقد أقتحم عليّ المكان وكأنني السبب في طرده وليس إهماله ، أتعلمين ما فعله في مهنتنا أمرا لا يغتفر ، سوف أعينه علي مسؤليتي أمام رئيسي ، وهو يبخل عليّ بمعلومات عن شركته ، قد تفيد عملي في مناقصات وصفقات .. أنا ربة عمله الجديدة وعليه الاذعان لي "

" أنا حقا لا افهمكِ ، منذ متي وتبدل بكِ الحال لتلك الشخصية العملية التي لا تراعي مشاعر ولا تحسب للانسانية حساب ؟ "

" صفية لا تبدأي "

" بل ستبدأي أنتِ من الغد في إجراءات تعيين ذلك المسكين ، أنا لا أفهم في عملك ، أنا ربة منزل علي كل حال لن أضاهي قانونية محنكة مثلك ، لكن إنتبهي لقلبكِ يا فريدة ، لقد اغلقته بما يكفي بطريقة حدت من طباعكِ و أصبحتِ لا تطاقي "

" هو ليس مسكينا ، هو .. هو .."

تلعثمتُ في نطقها ، من هذا الذي قلب حال صديقتها لتدافع عنه ضدها ، من هو ليقتحم خلوتها !

يطلب عمل !

وهي -صفية - تطلب إنسانية !

أين كانت الإنسانية يوم أخرجوني من منزلي بلا رحمة ، ونهبت حقوقي ، و لم يقف جواري أحد ...

عضضتُ شفتي ، قالت لي

" الناس أنواع يا فريدة ، ليسوا صورا متشابهة ، هناك من يأخذ وهناك من يعطي ، أبسطي يداكِ صديقتي كما بسط لكِ أحدهم يده بالمساعدة ، ربما تكوني أنتِ طوق نجاته "

***

أحمل عقدا يحتاج توقيعها ، جمعتُ أوراقا تحتاج مراجعتها ، طرقتُ بابها ، دلفتُ بعد أن أذنت لي .

تهز جسدها الذي يحتضنه كرسي دوار ، تغمض عيناها بتعب

" توقيعك "

فتحت عينيها ، وكعادة حيرتها ، أمسكت قلم و أفلتته لتمسك الآخر ، فسألتُ ببساطة

" لم التردد في كل مرة ؟ "

رفعت عيناها الواسعة لتتعلق بنظيرتها الضيقة خاصتي لتقول

" تأني "

" تردد سيدتي "

شعرتُ بإنتشائها من عودتي للألقاب من جديد ، راقبتُ إبتسامتها ، هل تملك أسنان تظهر عند إنفراجة الشفاة ومطها بما يسمى إبتسامة ، لقد نلت اليوم أقصى ما كنت أحلم به يوما ، مديرتي تبتسم .. وما أحلاها إبتسامتها ..

تركت القلم وناولتني الأوراق

" بل تأني يا يونس ، أنا كقانونية يتوجب علي التأني في كل شئ ، لا تحسب مفاضلتي بين الاقلام تردد ففي النهاية اتلذذ بالحسم ، ولا طلبي للعصير أو القهوة تردد ، بل مفاضلة وتأني لما يرجحه مزاجي .. ، لستُ مترددة بقدر ما أنا مزاجية متأنية "

قاطعتها وقد لاحظتُ نرجسيتها في الحديث عن نفسها

" متناقضة .. "

نلتُ إبتسامة أخرى في أقل من دقيقتين ، ربما لو هاجمتها أكتر نلت عناق ..

يا إلهي عناق من تلك المتعجرفة .. لا .. لا أريده و إن توقفت حياتي عليه .

" تقصد ذاك اليوم في المطعم .. لم أناقض أفعالي في شئ "

" لقد طلبتي مني مدك بأسرار الشركة المفصول عنها "

هل أتباهى بفصلي أمامها ، يتوجب علي الشعور بالخزي .. جائني ردها

" لقد كنت أختبرك "

جاء وقتي لأضحك .. وفقط .. لم أعلق وأنا أغادر بهدوء الى أن وصلت مكتبي ، لأتذكر إتصالها بي بعد مقابلتها في المطعم بيومين ، تخبرني بموعد إستلامي العمل ، لأكون أحد القانونيين ضمن قسمها وتحت إدارتها ..

***

جلستُ أنا وهي ، وإحدى زميلاتي في القسم في إنتظار المدير ومعه ضيوف في عشاء عمل ، طلب منها الحضور مع أكفأ رجالها ، فكنت منهم .

سعيد بنيلي ثقتها ، لكني غاضب بعد أن إعتذرت

الزميلة لتأخر رئيسهم عن موعده ، الى أن أصبحتُ بمفردي بصحبتها.

بدت مختلفة كما رأيتها بصحبة صديقتها من قبل ، بياض بشرتها يسطع تحت أضواء المكان المتناغمة ، عيناها يتخللها بريق مرح لم أعهده فقلت

" لقد تأخر "

" سأنتظر إتصاله ، او رسالة منه تنفي أو تؤكد حضوره قبل إنصرافي "

" أقصد تأخر الوقت .. ربما قلق عليكِ والديكِ .."

" متوفيان "

" زوجكِ ! "

" لست متزوجة "

كل إجاباتها بالنفي ، مع من تعيش إذا ، لا يعقل أنها ...

" أعيش بمفردي ، أعلم أن الامر صعب تخيله في مجتمعنا وسط أطماع العديدين ، إلا أني كسر لكل قاعدة .. كما تعلم لقد تجاوزت الثلاثين بعامين ، لم أتزوج أي أني عانس ، أعيش بمفردي ولا أخش كلام الناس ، وزد علي ذلك كرهي لكل من هو ذو رحم "

صُدمت حقا من جوابها ، لم أتوقع الإستفاضة في حياتها علي هذا النحو ، لا تبدو لي متفاخرة

متباهية ، وإنما شعرت بمرارة غزت حلقها كغصة واستحكمت.

" إذا لك أقارب ، لماذا كل هذا الكره ، يتمنى الكثير قريبا يشكو له همه "

" بل قل .. هم الهم "

هززتُ رأسي لا أفهم

" بحيلة صغيرة إستولى أقاربي على عقد شقتي التي كنت أقطنها بصحبة جدتي قبل وفاتها لينفوا ملكيتي لها ، فور موتها ، لقد كنت صغيرة لا أعي شيء .. ، واذا بابن خالتي يندس خلسة لغرفة جدتي فور موتها و قبل أن نقوم بدفنها وسرق عقد ملكيتي للمنزل .."

" لا يضرك طالما موثق "

" للاسف لم يكن موثق ، لقد كتبها لي جدي ليضمن حقي بعد أن ضمن حق ابنته الاخرى (خالتي) ، جدتي كانت بسيطة .. لم تخوّن ابنتها يوما ، وحمدا للّه أنها ماتت قبل أن ترى هذا اليوم "

" وان كانت علي قيد الحياة "

" كانت لتموت "

" الحصيلة واحدة "

***

لأول مرة أتحدث الى أحدهم بهذا الشغف ، عينيه المهتمة ، وأذنيه المنصته جعلتني أسترسل بل وأضحك بعد دعابته الحزينة لأردف

" وقتها وقف جواري زوج صديقة لي ..لم يكن كذلك وقتها ،ربما هو من وجهني لدراسة الحقوق دون أن أدري،كان أستاذي على كل حال "

" وهذا هو سبب قطعك لرحمك "

" ليسوا كذلك ، الرحم تراحم يا يونس ، لقد ألقوا بي في الشارع في اليوم التالي ، لم يتركوا لي الوقت لأحزن على جدتي ، لولا منزل صفيه وعناية والداها لي لم أكن أنا .. الآن "

"هل لكِ أقارب من جهة الأب "

تنهدت بتعب وهو يضغط على جرحي وأجبت

" عمي متزوج .. لديه أولاد .. ولم يورط نفسه في الأمر لأجلي .. لم يكن يسأل عني بعد وفاة والدىّ على أية حال .. هو حتى لا يعلم ما عانيته .. علم بموت جدتي مصادفة ولم يحرك ساكنا "

تهدج صوتي بألم إلتقطته عينيه فبدا مواسيا دون كلمات .. تؤازرني ، وتهدهدني ..

تنحنحت حين وصلت أفكاري الى هنا

" سأراسل مديري .. لقد تأخر الوقت فعلا "

لم يجبني - المدير - ..، بينما سار جواري - يونس - لننصرف سويا ، أغلق باب سيارتي مودعا لي ، وعاد الى سيارته لنغادر.

الفصل الثالث

مررت علي عامل الكافيتريا لأطلب كوبين القهوة المعتادين .. أشعر بسعادة العامل بعد أن أنهيت حيرته اليومية وتعامل فريدة معه ..

فقهوتها أصبحت شغفي ..

ورؤيتها صباحا صارت من مسلمات يومي ..

فريدة (وجه الخير) صارت حرفيا وجه الخير لي ..

إستقامت حياتي بعملي الجديد فما عدت احمل هم إخبار أمي عن معاناتي .

وضعت القهوة علي المكتب ، أتنحنح بحرج ، جئت في طلب لها و أرجو ألا تردني صفر اليدين ..

" هناك رجل وجب إنهاء عقده ، تقدمت فيه عدة شكاوى وتحققنا من صدقها .. ونفذت أيام أجازاته .. لكن .."

تركت ما يشغل يديها ، تتفرس وجهي منتظرة ما بعد اللكن ..

" لكن عنده أسرة ، وتأخيره وغيابه بسبب والدته المريضة ، متكفل بمصاريف إخوته ودراستهم .. أناشد إنسانيتك ف.. "

إنتبهت لخطأي فأردفت

" سيدتي .."

رفعت إحدى حاجبيها ، ثم عقدتهم في حركة تنم علي ترددها

" فلننحي الإنسانية جانبا يا يونس .. نحن في مؤسسة كبيرة تملك عدة تروس تدور حول بعضها بانتظام .. إن فسد إحداها وجب تغييره والا تعطل الكل .. أنت رجل قانون .. أي أن القانون يسير علي الجميع كخط مستقيم بلا رحمة "

" وروح القانون ! "

" عدنا للكلام الذي لا يروي "

" ستدمر أسرة بأكملها يا فريدة "

يبدو أنها ملت من كلماتي المقتضبة فتشاغلت بأوراق أمامها .. هممت بالمغادرة دون كلمة أخرى

" دعه يكمل عمله ، و أخبره أنه الإنذار الأخير وإن تكرر غيابه سأقوم بتحويله للتحقيق وطرده بنفسي "

مجنونة .. هي مجنونة ، مترددة ، متناقضة .. دوما ما تخبرني أهم القرارات وانا مغادر ، قد لا أسمعها يوما ..

وفي لقاء عمل آخر بعد عدة أيام .. حضر الجميع ، بدت منهكة في قراءة العقود ، شرعتُ في مساعدتها في ترتيب الأوراق الهامة للإطلاع عليها أولا ، يداها مرتعشتان قليلا ، آثار البرد تلتهم عينيها و أنفها لتصبغهما باللون الأحمر ، كان اللقاء سيمتد أكثر لولا رأفة الرئيس بها ، وقعت العقود ..وغادر الجميع الا نحن ..

لململنا الاوراق ، حملتها عنها .. أوصلتها لسيارتها ومضت سريعا ..

لست أدري ما تلك الرغبة الملحة في تتبعها ، ربما رغبت في الإطمئنان عليها ، وربما وددت أن أعرف مكانها ، حافظت علي المسافة بيننا لشدة قلقي عليها وحرصي ألا تغضب لمراقبتي لها .

صفت سيارتها أمام بناية راقية ، شاهدتها تغلق سيارتها وتلتقط حقيبتها الزرقاء الكلاسيكية ، المناسبة لثوبها الرقيق الذي ارتدته اليوم أثناء لقاء العمل .

***

بدأت أعراض البرد تهاجمني .. والصداع يعمي عيني عن الرؤية ، حمدت ربي كثيرا عند وصولي بسلام .

أغلقتُ سيارتي و إذا بأحدهم خلفي .. إرتعدت أوصالي عندما شاهدته فهمست

" عليّ "

جائني صوته الساخر

" هل ظننتِ بأنني لن أعرف طريقكِ "

" ولماذا تريد معرفته ، كان بيننا رحم و قطع "

شرارات الغضب بعينيه بدأت في الظهور

" أنتِ من قطعه يا أبنة خالتي "

" طالما تبجل قرابتنا لهذا الحد ، إبتعد حفاظا على سمعتي ، وإلا ما فائدتها و أنت تستوقفني هكذا وكأني أدين لك بشيء"

عاجلني مسرعاً وكأنه يرغب في إفراغ ما بجوفه كي لا ينساه ، او لربما يخشى هربي كما فعلت قديما .

" بالكثير "

" هل جننت ، لقد إستردت حقي ، و إن كان لك حق عندي فلتقاضيني "

همس وقد إقترب خطوتان مني

" سأفعل ، ومن سيمنعني ؟ "

" أنا "

لم يكن هذا صوتي ، إستدرتُ لأجد يونس وقد بدا غاضباً كما لم أره من قبل ..

" من أنت ؟ ، يبدو أنكِ تدينين لذاك أيضاً ، كفتكِ ثقلت ، و إقترب الحساب "

قالها بنبرة محذرة ، مهددة ، ثم غادر ...

فقدت توازني ، كدت أسقط ، لولا كلماته التي أخترقت أذني لأنفذ ما قال بالحرف ، دون أن ألتفت إليه .

" تماسكي يا فريدة و إصعدي لشقتكِ "

وفي اليوم التالي ،طلبت إجازة من العمل ، أشعر بالمرض العضوي والنفسي منذ رأيت ذلك الأحمق بالامس .

" سلقت الدجاج يا فريدة "

أسقطت قدمي أرضا بعد أن إحتميت بها لتدفئني ، أعتقدت أني أدفئ ذاتي بذاتي دون الحاجة للغطاء ، مللت السرير والنوم ..

" شكرا لكِ يا صفية ونعم المعين أنتِ "

مسحت علي شعري تتلمس حرارتي

" تبدين أفضل الآن "

" لست كذلك "

نظرت اليّ مستفهمة ، تنهدت بحرارة

" رؤيتي لعليّ جددت جراحي "

مسدت ذراعي

" ليست جراح ، بل كانت أمتع أيام .. أنسيتي ذكرياتنا في منزل أبي رحمه اللّه ، لم نكن نكف عن الضحك ، أتذكرين الجورب ذو الاصابع في بداية ظهوره ، عندما رآه أبي لاول مرة كاد يسقط من الدهشة ، الى أن اشترى دسته ملونة كاملة منه و أخذ يتشاجر عليها هو و أمي "

نظرت إليها بأستمتاع وقد نجحت في إلهاء عقلي

" لا .. لا أذكر "

ضربتني علي رأسي فتألمت

" آسفة يا فريدة ، لقد نسيت مرضكِ ، هل أحضر الغداء ، أوشك وقتي النفاذ علي المغادرة ، زوجي علي وصول "

" هذا الرجل أبي الروحي ، أشكريه لأنه وافق علي حضورك اليّ "

"فارق السن بيننا ما يجعله يتحملنا سويا ، أعتقد أنه تزوج بإثنتان وليس واحدة ، لقد ساعدكِ حتي قبل أن ينجذب اليّ ونتزوج "

بدأت تهيم في زوجها أمامي فقلت لاستوقفها

" حسنا ، سحبت شكري "

بعد مرور يومين

إلتقينا في المصعد ، تواجهني عينيه بتساؤل لم يلفظه.. ، أعد الأرقام لأصل لطابق مكتبي ..

ترجلنا من المصعد ، من يرانا يظننا جئنا سويا ، دلفت الى مكتبي وهو ملازم لي كسلوفانة اللولي بوب ، الى أن جلست خلف مكتبي ونطق أخيرا بسؤاله الصامت في علامة إستفهام فقيرة

" من ؟ "

ضيقت عيني مستفسره أكثر ، يبدو لي حزورة وليس سؤال ..

" من ذلك الرجل الذي كنتِ بصحبته ؟ "

عقدت حاجبي مجيبة

" وما شأنك ! "

إلتقط أنفاسه بصبر ، صدره يعلو ، ينظر تجاة النافذة حانقاً

" أجيبيني يا فريدة ، من ذلك المتعجرف الذي

استوقفكِ متبجحا يطالبك بدين عليك ، وما هذا الدين ! "

رفعت حاجبي بتعب ، ظننت أني نسيت الأمر برمته ، لكن على ما يبدو أنني لن أنسى أبدا .

" ابن خالتي "

صمتَ لأسترسل في الحديث .. لكن الصداع داهمني مجددا وكأنه يلازم تلك الذكرى المقيته.

" كيف أنتِ الآن ؟ "

سؤاله عن حالي في هذه اللحظة بالذات أثار شيئا في نفسي ، عله مهتم !

عينيه متلحفة بالقلق ، ربما أتوهم ، مسدت رأسي بألم .. أغمضت عيني للحظات ، وعندما فتحتهم وجدته أمامي ، يمد كفه كي يتحسس حرارتي ، فابتعدت برأسي ..

" يونس ! ما بك اليوم ! "

شعرت بتردده ، لتكمل يداه طريقها نحو النافذة خلفي ليغلقها .

أشرت له بيدي ليجلس ، يبدو أني لازلت مريضة .. ربما أحتاج ليوم آخر ، أستعيد فيه صحتي .

***

عدتُ لمنزلي بعد يوم مرهق ، تلقفت ابن شقيقتي بين أحضاني ، بينما داعبني صوتها ..

" مرحبا بسيادة المستشار "

" أتمنى "

قبلتها بحب ، أشتقت اليها والى الصغير ..

" أين جدتك يا عبد الرحمن "

" في المطبخ "

ذهبت اليها وأنا احمله

" أنا اتضور جوعا يا أمي "

" لقد إنتهيت حبيبي "

وعلي طاولة الغداء بدأت أميرة -أختي- الحديث

" كيف حال العمل يا يونس ؟ "

كدت أغص بما آكل ، لا يعلم أحد بفصلي من عملي وذهابي لآخر ، حاولت أن أكون طبيعيا ..

" بخير ، لماذا لم يأتِ زوجك معكِ كعادته ؟ "

" مشغول "

شردت بعقلي نحو تلك المترددة ، ذات الإجابات المهتزة ، لا يهم ، ما يهم أنني نلت إجابة شافية وافية حول ابن خالتها .. ظننته عاد ل ...

" يا ليت "

لم أنتبه الا علي كلمة أمي ، ونظرات أختي ، لأعقد حاجبي متلمسا ما فاتني

" فيم شرودك يا يونس ؟ "

دلكت رأسي مجيبا

" هل فاتني الكثير ؟"

ضحكت أمي

"يبدو أن عقلك مشغول بأحدهم "

ثم غمزت لي لتردف

" أم نقول إحداهن "

إبتسمت كمراهق أبله.. فعلت ضحكتها

" يبدو أنني سأخطب لك قريبا يا يونس "

تنهدت مسبلا جفني

" لا تتعجلي الأمور يا أمي ، كلا سيأتي في وقته "

قمت لأرتاح قليلا بغرفتي ، وتركت أمي و
شقيقتي يثرثرن كعادة النساء ..

هاجمتني عيناها المريضة مجددا ، كانت هشة

اليوم علي غير عادتها ..

أضافت سترتها البنية اليوم علي بشرتها البيضاء
هالة ممتزجة الألوان ، مصبوغة بسحرها .

رنين صوتها الخافت

" يونس ! ما بك اليوم ؟ "

كدت ألمسها ، كدت أمزق عذريتي اليوم معها ،
بلغت من العمر ثلاثين عاما ولم أمس إمرأة ، وربما
لم أنظر لإحداهن يوما ..

(أسمعكن) .. لست كاذب .

فقد إنشغلت بعد موت أبي في الكد والكفاح
لأزوج أختي ومن ثم بناء ذاتي .. فلم أحيا كغيري
من العابثين يوما ..

لكن مع .. فريدة .. الأمر يختلف .. شعرت بنيران تجري في عروقي حالما شاهدتها مع رجل ، وسرت اليها كالمحموم .

لم أحتمل قرب قريبها منها لأهرول إليها ..

كادت تسقط أمامي فور مغادرته ، منعت يدي عنها بشق النفس .

علت البسمة ثغري عندما تذكرت حديثها اليّ فور إغلاقي للنافذة.

" بعد أن أخذت عقد إرثي شرعت في تسجيله قانونيا ، ومن ثم بعتها ولم يعرف عني أحدهم شيئا ، يبدو أنهم كانوا يبحثون "

سكنت الآلآم محياها وهي تردف

" عني ، أو رغبوا في إنتهاك العقد مني بالقوة "

" ماذا كانوا سيفعلون بالعقد .. هو بأسمك ، وإن أخفوه فسوف يؤول لك نصيبك في بيت جدك ، ما مصلحتهم "

" لا شأن لي بهم وبأفكارهم ، لقد سرقوا أوراق تثبت ملكيتي لجدران تحميني من الشارع يا يونس ، كيف تطالبني بالتفكير في نياتهم ، فليذهبوا جميعا الي الجحيم "

لم تهدأ إلا و أنا أقدم لها قهوتها ، تقذف قلبي بسهم إبتسامتها بهمس رقيق

" شكرا لك "

حدثت نفسي و أنا اتقلب علي سريري

" كيف سأنام الآن وصورتها تغزو عقلي وهمسها يشعل براكيني ويتركها ثائرة .."

ملئت الإضاءة غرفتي ، و إذا بالصغير يتدثر جواري لأضمه اليّ ..

قال وهو يداعب ذقني

" لماذا لا تتزوج يا يونس "

حسنا ، لقد ارسلوا اليّ بفارسهم المغوار ، و أنا قبلت مبارزته..

" ولماذا أتزوج و أمي تطهو لي الطعام وتدللني ، وتدعو لي وتعانقني وتقبل رأسي .. "

قاطعني ذلك المحنك

" كي تنام جوارك ، تمسد ظهرك ، ت ... "

وضعت يدي علي فمه كي لا يتعمق ، تغمرني الدهشة من طفل في العاشرة من عمره .. على ماذا تربيه امه و امي ، كان هذا ما ينقصني .

" إذهب .. وقل لهما ، أني سأفعل "

***

الفصل الرابع

دُهشت عندما أخبرتني السكرتيرة بأن يونس يود مقابلتي ، فأنا لم أطلبه ، وليس هناك عمل يستحق العرض عليّ ، أجبتها بأن تدخله.

عندما دلف الي لفني عطره الحديث فلم يكن يضعه ببذخ كاليوم ، ملابس رسمية غير معتادة ، شعر مرتب بعناية وكأنه على موعد مع الوزير

" خيراً "

لم يبدو لي بأنه تحدث فأردفت

" لا أرى ملفات بيديك ولم أستدعك "

تنحنح ، زم شفتيه ، رفع حاجبيه ، هل يضع جيل في شعره .. سيتساقط يوما ما كجدي..

إلتقطتُ أنفاسي .. جدي ، ليته بقيَ ، لما إستباحني الداني والقاصي .

عدتُ بنظري اليه ..

ما تلك الثقة التي تنبعث منه ..

هيئته البطولية في إقتحام مكتبي ..

دوما ما يبادرني بحزمه وحسمه في الأمور ..

ألتهم قسماته ، أتفرسه ، وبوجه متسائل ، وبرأس مائلة ، و بإشارة من يدي وجهته نحو الرد .

***

صرخت -فريدة - بحدة ، لتنتشلني من التوتر الذي غرقت به ..

" يونس ما الأمر "

وبعد أن حسمت أمري بشأنها بالأمس ..

لم أجد من الجواب بُدا

" أريد أن أتزوجك يا فريدة "

كان جوابها أبعد ما يكون عن توقعاتي الحالمة ..

" هنا في الشركة ، هل جلبت مأذونا بيدك ! "

شعرت بالسخرية تغمر صوتها

" تبالغ في عطرك ، تلطخ شعرك بذلك الجيل الرخيص و أنت علي مشارف الأربعين يا يونس لأجل أن تتزوج بي ! "

" أتممتت الثلاثين فقط ، و لم أضع جيل يا فريدة "

لازالت على هجومها تردد

" تطلب زواجي في الشركة "

" لم تكوني لتقبلي بموعد بالخارج ، وقطعا لن آتي الي منزلك وأنت بمفردك .. كيف واين ومتي ومع من أتحدث لأتزوجك ..؟ "

ثم مسحت علي شعري علّي أزيل آثار الجيل المتبقية ، هل أسرفت في إستعماله ، أم أن عينيها الثاقبتين من إخترقتني ..

هي معجبة إذا ..

" و إن لم أضع الجيل لكِ لمن أضعه لعبد الرحمن ! "

عقدت حاجبيها

" ابن أختي "

" أنا لا أعرف عنك شيئا ولا أنت .. كيف تطلبني للزواج هكذا ، وكيف ظننت بأني قد أقبل بك ، أنا مديرتك يا يونس ، أتظننا سنسلم من كلمات ونظرات الناس ، أم تود إعادة تمثيل فيلم (مراتي مدير عام) "

لم تضايقني سخريتها ، ولا نظرتها الدونية لي ، و إنما لرؤيتها الشاملة للأمر ، هي حقا لا تعرف عني شيئا ، لكن هناك خطبة ، أم تراني تعجلت الأمر من ضغط أمي وعبد الرحمن ..

هززت رأسي أنفض عني الأفكار ، وشعور حارق بالرفض يطال رجولتي.

حسنا يا فريدة ، سأستقيل ..

و سأخبركِ بما تجهلينه عني ..

***

ثلاثة أشهر منذ رحل ..

أشعر بالوحدة تتضاعف داخلي رغم أن الجمع حولي ..

قهوتي باردة .. ولا تأتي في وقتها ..

نظرات العامل لي توخزني كلما عدت لترددني ..

شهر لحقه الآخر ..

ولم أره .. بينما صورته الأخيرة تلازمني ، وسعادة عينيه وهو يطلبني للزواج ..

ويداه التي تشيح في وجهي يخبرني بأني لن أقبل بالخروج معه ..

هل كان سيلمسني مبددا ألمي يوم مرضي أم أنه الوهم ..

لقد كان جواري دون أن أطلبه يوم لقائي بعلي ، لقد تتبع سيري ..

ثرثرت معه في أشياء عديدة.. بُحت بأشياء لا يعلمها سوى صفية لأننا تشاركناها معا..

رمشت بعيني ، دلكت مؤخرة عنقي، أنا .. حقا ، لا أعرفه!

شرودي ألقى بي عند قفص فريد ..

وذاك البؤبؤ الأسود الذي يميز عينه يجذبني ، منذ متى وهو وحيد في قفصه بعد أن ظننت أن صحبتي له تؤنسه ..

هل حان الوقت لشراء نصفه الآخر ..

أرجعت رأسي للخلف بخدر .. لقد تحمل القفص خاويا منذ زمن ..

وكذلك أنا .. تحملتها -الوحدة - أيضا ..

أليس من العقل أن يشعر كلانا بالاكتفاء كلا من بني جنسه ..

أغمضت عيني بتعب وتوجهت لسريري ، ألتمس النوم لتتوقف أفكاري.

وفي الصباح ، أمُر في طريقا مشى فيه يوما ..

أركب مصعدا حمل جسده و أجلس على مقعده المفضل في مكتبي وكأنه يحتضني ..

يونس .. لقد صدق حدثي بأن إسمك سيعلق ببالي طويلا ...

لم أكد أشرع في عملي حتى وجدت رسالة علي هاتفي .. صورة لبطاقة شخصية تخصه..

اسمه..

سنه..

عنوانه..

وصورته.. وهنا كان تعليقه قبل أن أفكر حتى

" أرجوكِ لا تضحكي "

لقد ترجاني ، حسنا ، لن أضحك ..

وبطبيعتي المترددة ، إنفجرت ضاحكة حتى أدمعت عيني ...

وتوالت الرسائل .. وكأنه يُعرفني عليه بأوراق رسمية مختومة ..

في اليوم التالي أرسل عقد زواج والدته ووالده بصورهم ..

ليلا .. أرسل الي عقد زواج شقيقته الذي يحمل

صورة شقيقته وزوجها ...

وفي اليوم الذي يليه .. أرسل إلي صورة المدعو عبد الرحمن وهو بجانبه يحتفل بشيء ما .. الصغير يشبه والدته ..

إعلتيت سريري في نهاية اليوم ، أغلقت الأضاءة و إكتفيت بإضاءة الهاتف .. كبرت صورته .. تمعنت بها .. إبتسامته الساحرة ، كيف لم أنتبه لها من قبل ..

عينه الضيقة والتي إزدات ضيق مع ضحكه ، أنفه الطويل و كأنه أمير شهير بعجرفته ..

ما أراه في عينيه حنان خالص ..

حنان حرمت منه منذ زمن ..

أود تجربته .. الالتصاق به قدر الامكان...

" وافقي يا فريدة "

كانت رسالة من صفية ، شاهدتها لتكمل

" لازلت علي تطبيق الواتس الى الآن ، لابد و أنه يتحدث اليكِ "

كتبت

" نعم .. يرسل اليّ باقي أوراق العائلة .."

أرسلت اليّ وجوها ضاحكة .. ففعلت بالمثل مع تنهيدة رضا ودلال لم تصل لقلبي يوما..

" هذا رجل حقيقي يا فريدة .. لقد طلبكِ للزواج ، ترك العمل حين قللتِ من شأنه ، متمسك

بعجرفتكِ ويُعرف نفسه ، هل تريدين نوع معين من لقاح أو مصل ، أو ربما تودين تحاليل ما قبل الزواج ! "

" سنقوم بها "

أرسلت وجوها متعجبة ثم كتبت

" هل وافقتِ "

" سأفكر في الأمر .."

***

أدرس قضية هامة أكرمني الله بها ، ليعمل هذا المكتب الصغير أخيرا ..

ولأقر عين والدتي بعد أن باعت ذهبها لأجلي بعد أن أخبرتها أخيرا بصرفي من العمل ، وأسقطت من روايتي فترة عملي بشركة فريدة ..

تلك المتسلطة ، المترددة ، الشهية ، ال....

يكفي هذا ..

لقد أصبحت مجنونا بها .. أتتذكر يوم ذهبت لأختي كي أصور وثيقة زواجها ، لم تصمت إلا بإخباري لها عن الأمر برمته ، لأصبح مادة التندر للعائلة بأكملها ..

أخبرتهم أنها كانت زميلة عمل .. وفقط .

عبد الرحمن الثرثار الصغير لم أسلم منه يومها عندما أمسك هاتفي ووجد صورتها ..(التي سرقتها من الواتس خاصتها)..

لقد ذاع الخبر ، وشاهدها الجميع ..

" جميلة "

" تبدو حادة الطباع ، أنظر الي فمها المشدود "

" ذوقها مميز ، أحمر الشفاة الذي تضعه جذاب "

" طريقة ربطها للحجاب يبدو متزمت .."

" لماذا تبدو حزينة هكذا "

" لون بشرتها جذاب ، يناسب لون عينيها "

" هل هي طويلة ؟ "

" كفى "

وضعت يدي علي أذني صارخا بهم ، لن يتوقفا الا بالصراخ ، جذبت هاتفي من بين براثن أصابعهم

وقمت ... لأشعر بخف أمي يلاحقني الى أن ضرب رأسي ...

تظاهرت بالسقوط ليركض عبد الرحمن الي ويقفز فوق بطني ، صرخت به ، أمسكته من تلابيبه أحمله نحو غرفتي مرددا

" أنت السبب ، أنت السبب "

فهو من سرق هاتفي على كل حال و أستحق ما فعلته به

عدت بأفكاري للعمل ، أغلقت ملف القضية حالما إنتهيت من دراستها ، هممت بالمغادرة ..

لأجد صاحبة أفكاري أمامي

" فريدة "

أقتربت بتردد بتُ أعشقه..

باغتتني بقولها المباشر

" هل عرض الزواج قائم ، أم أطلب عرض بيتزا "

إقتربتُ أكثر

" إجعليهم إثنين .."

" البيتزا "

أومأت برأسي مجيبا بهمس

" البيتزا "

تمعنت بعينيها ، أضغط على أسناني بتماسك ، فقد باغتتني ودكت حصوني ... تسابقت كلماتي بلهفة

" هل وافقتِ ! "

نظرت للأرض بخجل لم أعتده بعد منها

" نعم "

" فلنلغي البيتزا إذا ولنأتِ بالمأذون "

إتسعت عيناها فأردفت

" أقصد الشربات "

****

" سنها كبير يا يونس ، هي لا تناسبك "

كانت كلمات أمي المغيظة لي ، منذ أن تيقنَت من قراري وغذيتها بالمعلومات التي أرادتها حتى انفجرت بوجهي كخرطوم مياه المطافئ وقت

الإطفاء .

" تكبرني بعامين فقط ، و أنا لا يهمني السن يا أمي ، لقد إنجذبت لها وفقط "

" هي بلا عائلة ، من ستضع يداك بيده لتعقد قرانك ؟ ، تعمل منذ زمن كما أخبرتني فهي ليست بحاجة لمالك أو إنفاقك عليها ستستغنى عنك عند أول مشادة بينكم يا ولدي ، إن تأخرت قليلا في الإنجاب ستزيد نسبة عدم إنجابها ، ليست كفتاة صغيرة أمامها العمر كله "

" أنا لن أتزوجها كي أنفق عليها أو كي أستعرض عليها قوتي يا أمي ، ستكون زوجتي ، ليس لها عائلة سوانا ، أنا من سيخاف عليها ويحميها ، و إن زلننا يوما سأتمسك بها أوجها وتدعمني "

راقبتُ إنفعالاتها ، أعي خوفها عليّ ، لكن هذا إختياري ووجب علي التمسك به .

أغمضت عينيها متنهدة

" أراها أولا ، وبعدها أحدد رأيي "

نظرت لأختي كي أجد بعض الدعم فقالت

" لا بأس يا أمي ، نراها أولا وبعدها نحكم "

إقتربت من أمي أمسك يديها بحنان

" أعلم بأنكِ ترغبين في الخير لي ، أعلم بأني الرجل الوحيد في حياتك بعد وفاة أبي ، و أعي جيدا خوفك عليّ ورغبتكِ في حمل أطفالي .. إلا أني نضجت بما فيه الكفاية لأختار عروسي .. "

ثم أردفت بحسم متعمقا بعيناها

" وعروسي هي فريدة .."

***

(و من أين أدري أن لرشفة بطعم العسل ،مذابة بأنفاسه ، مطعمة بلمسة من ثغره ، تمتزج ببقايا عطره ،تتغلغل بقهوتي ، فتأسر روحي ، تسبي عقلي ،فأعلن انهزاما ،بنكهة نصر.) خاطرة بقلم بدر البدور

***

الفصل الخامس

تجلس والدته في الكرسي المقابل لي ، يبدو أنها إختارت موقعها بعناية ، أشعر بعيناها تخترقني ، تنزع عني ثوبي ، تتوغل في تفاصيلي ، ليست حماة تقليدية تجذب الشعر وتختبر الأسنان ، وإنما امرأة ذات رؤية ثاقبة ذات أشعة تحت الحمراء ، ترى الأشياء الخفية .

بدوت كمهراهقة في العشرين خجولة من أقل نظرة ، جلس إبراهيم زوج صفية بجوارها مستقبلا ضيوفه ،و لولا حضوري قبلهم لكنت واحدة من مضيفيه الآن .

إبراهيم هو ملاذي الأول والأخير منذ بداية معرفته كقانوني ، و أستاذي بالجامعة ، وزوج صديقتي المقربة بالنهاية ..

لم استطع اثناءه عن التحدث الى عمي ليخبره بوجود خاطب لي فالتقاليد تقيده .. لم يشأ أن يتخطى حدوده واراد ان يكون عمي حاضرا الخطبة .

لكن ببساطة .. لم يهتم .. ولم يحضر .

" مرحبا سيد يونس ، أنا رجل عملي بطبعي ، وعلمتني دراسة القانون الوضوح ، فدعني أسرد لك و أخفف عنك عبئ البداية .. يونس فاضل ، تملك مكتب محاماة في بدايته ، عملت في شركة كبيرة كمدير قانوني ومن ثم فصلت وعملت لمدة ثلاثة أشهر في شركة فريدة تحت رئاستها ..."

قاطعت شهقة خفيفة صدرت عن والدته قول إبراهيم .. لكنها إستدركت الأمر .. لتقول

" يبدو أنك إستقصيت عن ابني جيدا "

" نعم .. "

ثم نظر إلي بود

" فريدة تعبت في حياتها كثيرا سيدتي ، عانت من ظلم أقربائها وما أقساه ، أن تكون الضربة ممن هم رحمك ، يكون الألم مضاعف "

لم أحن رأسي أو أتأثر ، فقد مضى وقت طويل علي ذاك الجرح ..



أكملت ما بدأه إبراهيم

" إبراهيم في مقام والدي ، لقد دافع عني كثيرا لذلك هو من وكلته وكبرته في زيجتي ، وزوجته صفية كأخت لي "

حاولت والدته قول شيء ولكن يونس قاطعها

" بلا مقدمات ، أنا أطلب فريدة للزواج ، ممتن لما فعلته لأجلها سيد إبراهيم ، وممتن لكلماتك عنها .. لست صغير بالعمر ، إرتأيت الاستقرار و أرغب في عقد القران بدلا من الخطبة ، فهي تعرفني جيدا .."

ياله من واثق ، هو لم يستشيرني في شئ ، منذ وافق علي عرض البيتزا .. طالبني بتحديد موعد

مع من سأوكله لزواجي .. وقد كان ..

ظننت أنها خطبة ، بدا إستعجاله في كلماته الى أن خرجت والدته عن صمتها.

" هل العروس موافقة علي عقد القران ، أم الخطبة أولا ، لا تفرض رأيك عليها يا يونس ، الزواج خطوة كبيرة ، لا ترهب الفتاة "

رغم إن كلماتها بدت دفاعا عني وعن رأيي ، إلا أني شعرت بأن هناك شئ مبطن ..

ربما هي لا توافق علي تورط ابنها في زيجة سريعة .. وبدون أن أشعر قلت بحماسة..

" موافقة علي كل ما يقوله يونس ، وهل كلمته ترد ! "

إبتسامتها الخالية من المرح أشعرتني بالإنتشاء ، يبدو أن هناك أيام لطيفة بانتظاري ..

***

عقدت قراني بقاعة صغيرة ، حوت أصدقائه المقربين وبعضا من أهله ، بينما أنا لم يحضر لي سوى إبراهيم وصفية .

هنئني الجميع ، مالت علي حماتي ،فهمست لي

" سلمتك فلذة كبدي ورجلي ، أقسم إن آذيته يوما لأفقأن عينك "

أتسعت عيني بصدمة ، وقد كان أول تحدي مباشر تلفظه حماتي أمامي ، هي لا تطيقني بمعنى الكلمة ..

وقبل أن تغادر أنفاسها أذني ، وضعت قدمي علي فستانها الطويل في محاولة لعرقلتها الا أنها تماسكت متشبثة بالطاولة امامي محدثة نوع من الهرج .

إنتفض يونس وقام يساعدها ، بينما رأيت نظرتها الشازرة نحوي دون أن تكشف سري .. ومن هنا تيقنت بأن الحرب بيننا إتقدت .. ودون تدخل أحد ، فهي لن " تعكنن " على فلذة كبدها بل (أنا وحدي) .

يرفل فستاني حولي بتناغم وانا ألامس ذراعه .. طاولة علي النيل ، أنا وهو فقط .. بعد عقد القران لم يُقبلني على جبيني ، لم يقترب لاشتم عطره ، لم يلمسني ، بل إختار هذا الموقع

تحديدا لنحتفل بزواجنا الغير مألوف المظاهر ..

بعد جلوسنا ، لم يمسك يدي ، ولم يتودد اليّ بل قال

" عرقلتي أمي ! "

تسارعت أنفاسي و أتسعت عيني وقد أمسك بي بالجرم المشهود

" لا تخافي ، أعلم أنها آذتك "

إزداد اتساع عيني ، مع عقد حاجبي فبدوت كالبلهاء وانا أهمس

" لا يهم .."

طلب مشروب ساخن أحمر حار يحوي حبيبات الحمص

" ألن تنهرني علي فعلتي ! "

إحمر وجهه وحبات العرق تنبثق من جبينه بفعل مشروبه الحار ، مسح جبينه بيده ، ومررها علي شعره بنزق ليقول

" لقد أرسل لي اللّه من يأخذ حقي يا فريدة "

" أتعاني لهذه الدرجة "

بدا وكأنه سيبكي

" كثيرا "

أنهى كوبه فناولته كوبي الذي لم يرفضه ليردف

" لم أخبرها بعملي بشركتك وعندما علمت من إبراهيم نلت تقريعا حادا " أنا أمك تخبئ عني أسرارك ، لماذا فصلوك من عملك " وهكذا ، لقد كان يوما طويلا بين الجذب والشد "

" ولماذا لم تخبرها منذ البداية "

" كي لا تبيع ذهبها لأستقل بمكتب محاماة وابدأ من جديد "

" وهل فعلت ؟ "

نظر أرضا

" نعم ، فعلت "

" ألا تملك مالا "

" لا "

" و أين سنعيش ؟ "

" معها "

إستشطت غضبا لأقف ويعلو صوتي

" يا حبيب والدتك ، تعلم أن أمك لا تطيقني منذ الوهلة الاولى ، بل وتركتني أعرقلها بلا عقاب بل فرحت لذلك ، وتود الآن أن أمكث معها بمنزل واحد .. والله لن يكون ، ثم أنك قلت لابراهيم أنك تملك شقة "

ترك كوبه الثاني بعد أن أنهاه..

" أنتِ لست طرفا يا فريدة ، هي تخرج غضبها مني فيكِ ، أنا كل شئ لديها الآن .. الشقة التي

أملكها هي تمكث بها "

" و أنت ستعطيها المكان والزمان لتنفرد بي لتخرج جل غضبها فوق رأسي "

ربت علي كتفي

" أنتِ لها "

كدت أن أصرخ ، لكن لا ينقصني فضائح ، يكفي نظرات الناس لنا ، يا الهي ، ما الذي أقحمت نفسي فيه .. أمسكت هاتفي لاطلب سيارة و أغادر من أمامه في ثوان معدودة ، بينما لقطته عيني ينقد صاحب الطاولة المال.. مشيرا الي بصوت شبه صارخ

" إنتظري يا فريدة "

" كيف كانت سهرتكم ؟ "

كان سؤال صفية - التي خرجت هي وزوجها أيضا - فور وصولي للمنزل ، فأجبت

" كيف كانت سهرتكِ أنت يا صفية "

صوتها الساحر الناعم ، أصبح أشد حالمية وهي تجيب

" لقد ذهبنا لفندق فاخر ، تناولنا العشاء ، ثم طلب لي حلوى .. بعدها غادرنا مشيا الي البيت بعد أن ثرثرنا كثيرا عن حفلك "

" تقصدين نكبتي ؟ "

طارت حالميتها ، شعرت بها تجلس لتقول متحفزة

" ماذا حدث معكِ يا فريدة ، هل أغضبكِ يونس "

" يونس .. تقصدين بقدونس ، ذلك الرجل الذي حُسب علي ، ليتني ما وافقت ولا تزوجت "

" فريدة ، هل أنتِ بخير ؟ "

أوشكت علي شد شعري لأجري قرعة عليه بدلا من الوردة (أطلب الطلاق أم لا)

" فرييدة ، هل تسمعيني ؟ "

" نعم يا صفية ، لقد خرجنا ، وشربنا مشروبا شعبيا علي طاولة شعبية ، وعندما فرغ من كوبه هجم علي كوبي فتركته وعدت وحدي بسيارة أجرة "

بدأ صراخها يعلو ، لا أعرف جوابا لاسئلتها فقلت

" يريد مني الزواج والعيش مع والدته "

" وماذا في ذلك لقد قال ذلك لإبراهيم وظن أنكِ موافقة "

خبطت علي جبيني ، لقد حاك يونس شباكه حولي و أنا من أحكم القيد رغبة مني في إثارة حنق والدته يومها ..ويبدو أنني الصيد والصياد

***

أهاتفها ولا تجيب ، أرسل إليها رسائل ولا تقرأها .. أي غباء استحكم عقلي لأغضبها ليلة زواجنا ،لقد إشتقتها .

اليوم أجازتها ، فكرت في الذهاب اليها ، الا اني

استعيبت الامر فهي تسكن بمفردها ..

تحدثت الى أمي فحثتني علي زيارتها ربما أصابها مكروه ، فصحبتني إلى منزلها ..

إبتعت الزهور ، رغم إصرار أمي لجلب حلوى ، إلا أني أعلم أن خلف واجهة فريدة الحادة ، تسكن أمرأة تشتاق الدلال ففضلت الورد ..

***

اليوم أجازتي ، أمضيتها في التنظيف ، نال شعري الأتربة ، لم أسرحه منذ إستيقظت ، أغسل الأطباق و أعد الشاي و أرتب الأجهزة والملاعق في آن واحد ، فقد أعتدت علي خدمة نفسي منذ الصغر ، حككت رأسي لأزيد من بعثرته ..

جلست بالمطبخ لآخذ راحة من تلك المشقة المسماة بالتنظيف ، لولا غيظي من يونس لكنت أجلت تلك الحملة للاسبوع المقبل .

أشعر بالحنق تجاهه ، أتجاهل كل شئ حوله وكأنه ليس زوجي ، لم أستمع لنصح صفية ، لن أتحدث مع مجنون يملك أم أشد جنونا منه .

لقد عرقلت والدته ولم تهتز له عضلة بل سعد بذلك .. رباه .

إستمعت لرنين الباب ، إنه البواب لقد حضر بسرعة فقد طلبت منه خضار الغداء ، لن أنظف وأبتاع الطلبات معا ، يكفي هم واحد ..

إقتربت من الباب لأرى ظلين لرجل وامرأة ، من

عساه يأتيني الآن ..

جائي صوته

" إفتحي يا فريدة فشعرك المبعثر ينم على وجودك .. "

فتحت وليتني لم أفعل .. كادت والدته تسقط من شدة الضحك .. بينما عقد هو حاجباه بشدة وكأنني خيبت آماله ..

" ما الذي أتى بك .. أ .. أقصد تفضل "

إلتقطت منه الورد و أنا أشعر بالشماته في نظرات والدته..

" لا تجيبي علي إتصالاتي ، خشيت أن يكون أصابك مكروه "

حاولت تجميل نفسي بتمرير يدي فوق شعري بدون فائدة

" أنا بخير ..كيف حالك أنت ؟ "

أشرت إليهم بالدخول مرحبة بوالدته .. ليجلسا و أغادر إلى المطبخ متعللة بتحضير شراب لهم .. شعرت به يدخل خلفي

" ما هذا ؟ "

أشار الى شعري..

" تراب .. إنه يوم التنظيف .."

همهم بصوت خفيض ، مسحت عيناه الماء والصابون علي أرضية المطبخ فقد كنت أشرع في تنظيفه ..

نظرته التقييمية أثارت حنقي

" ما الذي تفعله هنا بالله عليك ، ألم يخترعوا هاتف قبل الزيارة "

" إتصلت ولم تجيبي "

جززت علي أسناني ، كدت أصرخ في وجهه بأني لا أطيقه ..أعطيته ظهري لأعد شيئا لضيافتهم ، وإذا بقدمي تنزلق من الصابون أسفلي لأسقط علي قدمي التي إلتوت تحتي حتى سمعت قرقعتها لأصرخ بشدة من الألم ..

***

شاهدتها تسقط أمامي لم أستطع حمايتها من السقطة ، كانت كالدب المنكوش الذي سقط بسهم أحدهم ..

رغم خوفي عليها إلا انها إستحقت تلك السقطة ..

هل هذا وجهها الذي حلمت به مكتملا بشعرها الهفهاف ، تبا .. لقد تخيلته أصفر لشدة بياضها أو ربما كستنائي .. لقد كان أسود مترب مجعد ، ما أبهاها صورة لزوجتي في أول لقاء بعد عقد قراني بها ..

" يونس "

صوتها المتألم بأسمي لم يترك لي الوقت كي أعي المشكلة التي أنا بصددها ..

دخول أمي وصرختها أفاقتني ..، حاولت حملها لم

أستطع ، تصرخ من أي حركة ، يا الهي ، هل ستموت الآن ..

يالحظك يا يونس .. ربما هي دعوات والدتك المحبة ..

مالت أمي عليها هامسة بشئ لم أسمعه .. فصرخت فريدة بشدة ولم تنطق بعدها ..

حملتها أخيرا ، ملابسها مبتلة .. حاولت الخروج بها من المطبخ فصرخت بي كي لا تبتل الأريكة من ملابسها ، عدت بها الي المطبخ مرة أخري في حيرة من أمري لأتزحلق أنا الآخر ونسقط سويا هذه المرة .

حاولت أن أتفادى السقطة بجسدي كي لا ترتطم هي - مجددا بالارض فاذا بها تصرخ بقوة ..أكثر من ذي قبل لأكتشف أني من سقطت فوقها ..

***

الفصل السادس

" ستُشهر زواجنا يا فريدة ، من سيتحملك ثلاثة أشهر لحين شفاء قدمك ، أنت بحاجة لمن يقوم بخدمتك في أدق تفاصيل حياتك "

" لا ، لا ، لن يكون الأمر هكذا ، أنا أحلم بالتاكيد "

حاولت أن أستفيق فأجده أمامي في كل مرة ، يونس .. ليتني ما رأيت وجهك ولا وافقت علي عرضك

" ومن قال بأني سأوافق على مساعدتك لي .. "

إقترب مني بعد أن صرف والدته لا أعلم كيف ولماذا بعد مغادرة الطبيب .. لأمكث بمفردي معه..

"ومن سيساعدك إذا ؟ "

توردت وجنتاي لأهمس

" صفية "

" هل ستترك صفية زوجها ثلاثة أشهر لأجلك .. ربما تساعدني ، لكن لن تتحمل الامر برمته يا فريدة ، لا تصعبي علينا الأمر "

أغمضتُ عيني أتألم من كسر ساقي ، ومن تلك الحلقة التي أدور بها ..

إستقر أمام فريد يداعب قفصه بأصابعه .. اختلجت عضلة فكه ولم أعي السبب .. هل شعر

بالشفقة لوحدتي .. !

إقترب مني وهو يقول

" بماذا همست أمي إليكِ ؟ "

تنهدتُ بعد أن أيقنت بأنها عدالة السماء ، فقد سقطت كما خططت لحماتي من قبل ..

" لقد قالت لي ليت عنقي الذي كُسر وليست قدمي "

" لقد تنبأت بالكسر قبل قدوم الطبيب ، خبرة "

" نعم يا ابن الخبرة ، لقد اقتص الله لها "

تمدد جواري وكأنه زوجي منذ عشرات السنين ، والغريب أنني لم أستهجن الوضع

" أتعلمين شيئا ، .. لم أتوقع يوما تجاوزكِ مع أمي .. وعلمت دوما أني لست رادع لكِ ولست مدافعا عنها وانما أنتِ رقيبة نفسك يا فريدة "

ثم إلتفت ليعاقر عيني

" أنا أثق بعقلكِ كثيرا "

تنهد ليردف

" لقد توقعت مشاهدتكِ في مرتي الأولي بملابس ناعمة وشعر مسترسل طويل ، برائحة كالكمثرى "

عقدتُ حاجبي

" من أين تلك الكمثرى ، هل هناك عطر للكمثرى ، أنت تهذي "

أمسك شعري الملفوف

" هل هو طويل .."

نفضت يده عني

" أريد دخول الحمام .."

***

ملئتُ حوض الاستحمام ، إستخدمت فقاقيع سائلة برائحة اللافندر ، لا أحبها .. يناسبها الفانيلا أو الياسمين ..

لابد لتلك القذرة التي تعلو السرير بالداخل أن تستحم ..

عدتُ إليها لأقول

" الحمام جاهز .."

حاولت النهوض لم تستطع بفعل سقطة ظهرها فلازال يؤلمها .. حملتها ..توجهت الى الحمام ، شهقت عندما شاهدت الماء وصرخت بي

" وكيف سأدخله واخرج منه أيها الذكيّ ؟ "

" هكذا "

حاولتُ إسقاطها بملابسها داخل حوض الإستحمام بهدوء لكنها صرخت وتشبثت بعنقي ، لن أتحمل هذا الشعر المبعثر من جديد .. يكفي الفضيحة التي سترافقني مدى الحياة من أمي ..لما حدث اليوم .

أخبرتها أن تشهر زواجي عند اقاربي وتخبر الجميع

بأنه وجب إتمامه .. بينما أخبرت -فريدة- إبراهيم وصفية اللذان ولحسن الحظ مسافران في رحلة ولن يعودا إلا بعد أسبوع .

أجلستها على حافة الحوض بعد أن حثني خجلها على الخروج ..

" أخبريني فور إنتهائكِ ، وإن إحتجتي مساعدة .. تذكري بأني زوجك الآن بالإشهار والإعلان يا فريدة "

أوصدت الباب خلفي لتطمئن .. أشعر بخجلها وخوفها مني ، لست وحشا كي أنالها وهي بهذا الحال ، أو لأكون منصف ، لن أنالها وهي بذاك المنظر.

بعد لحظات..

غفوت فوق مقعدي منتظرا لها .. لم تنادِ ، ربما نادت ولم أسمع ..قمت من فوري لأفتح الحمام ولا أجدها ..

ذهبت لغرفتها ، الباب موصد ، وصوت أنين باكٍ يتسرب عبر بابها

" يا الهي ، أنا آسف يا فريدة .. إفتحي الباب .."

" لا استطيع القيام مجددا ، إنعم بالنوم أمام التلفاز ، عله يسليك ، لا أعلم سببا لوجودك هنا سوى زيادة الأعباء فوق كاهلي .."

طعنني صوتها ، شعرت بألمها ، لابد أنها عانت كي تقوم وتجفف نفسها وترتدي ثيابها ..شارفت

علي نزع شعري من قوة يدي وغيظي وغضبي من نفسي .

بعد مرور الوقت .. حاولت بحركة معتادة لإقتحام الغرف بأن أسقط المفتاح من الداخل لأقوم بجره لأفتح الغرفة .. و أدخل ...

وقفت عند الباب أطالعها ببلاهة ..

لم أحلم يوما بجمال كما رأيت .. هل هذه فريدة ..

شعرها قصير .. أسود داكن بعد ازلة التراب عنه ، جزء منه يخفي نصف وجهها .. متناسق مع بشرتها الناصعة .. أنفها ، شفتاها ..

جانب وجهها الذي يواجهني خطف لبي..

هدوئها وهي نائمة ألهب قلبي ..

تنهدت بعشق لم أطن بأني قد أصل إليه يوما .. عشق ساقني مدله في ثنايا ذلك الكيان الراقد أمامي ..

لامست وجهها بأصبعي هامسا

" فريدة "

فتحت نصف عينيها لتصيبني برمح فتنتها .. لتكتمل هالة النعومة والرقة الغير معتادة عليها .

تسارع خافقي ، أشتعلت ثورتي ..

جن جنوني عندما همست هي الأخري بهسيس خافت

" يونس "

ولم يكن مني إلا تلبية النداء ، إقتربت ، لم أستطع أن أبتعد مجددا ، إلتصقت ، وقد رنوت أخيرا إلى نصفي الآخر.

إرتشفت ، وقد كنت في الحب فقير ، فأغنتني بحلاوتها ، و أسقتني من دلالها .. فريدة في كل شئ ، فريدة بحبها .

***

الألوان تعصف بكياني ، القصير ، الشفاف ، الطويل و المفتوح ، أمسكت بأحدهم وتخيلي لفريدة وهي ترتديه يزيد ينهك رجولتي .. ويطيح بعقلي .

قررت اليوم الخروج بعد أن أعددت لها ما إشتهت ، وساعدتها في أشيائها الخاصة دون خجل فقد كُشفت الأرواح فتعرت ، والأجساد فالتحمت .

كانت هادئة ، خجولة ، بوجه جديد لم أعتده منها ، فدوما ما كان قناع الصلابة هو المواجه لي ، و أكتشفت أنها كائن بونوبو طيب ، بينما أنا الشمبنزي الشرير.

لم أترك فرصة أو مناسبة الا وبادلتها قبلاتي ، و أعلنت عن أشواقي ، أواجهها بكوب الماء فور نظرها اليه ، أدس خفي في قدمها ، يتسع قليلا عليها .. كثيرا في الحقيقة ، إلا أنني أدللها كعروس جديدة وكحبيبة ، حريص على الزود بأحلامها .

الأحمر ، الجنزاري ، الطويل ، الشفاف ، إنتقيت مجموعة مثيرة من ملابس النوم ، على ذوقي الخاص ، تمنيت ألا تقذف بي خارج غرفتها ركلا عندما تراهم .

نقدت العامل بالمال ، لتكون وجهتي المتجر المجاور .

أدوات الزينة ..

وهل تحتاج حبيبتي لشئ يزيدها حسنا بعيني .

ولكن .. لا ضرر من ابتياع طلاء اظافر فرنسي بمستلزماته .

أحمر شفاة شفاف ليبرز شفتيها .

لم أهتم بتلك الأشياء من قبل ، لكني أستعد وبصدر رحب أن أهتم و أهتم .

عطر الكمثرى ، طال أنفي حيث إبتاعته أختي يوما ولم يعجبها ، ومنذ ذلك اليوم رسخ أسمه في ذهني ، كتميمة حظ لن أسعد إلا وزوجتي - التي كانت في علم الغيب وقتها - تضعه .

دسست محفظتي بجيب بنطالي الجينز ، الآن .. إنتهيت .

سرت حيث سيارتي .. أحمل الحقائب مستمتع بأختياري كل شئ يخصها و .. يخصني ، فهي لن تضع من ذلك العطر الا لي ، ولا من أحمر الشفاة الا لي ..

شعرت بشغفي بها يزداد ، وغمرني إحساس حقيقي

بأني سعيد.

***

أغلقتُ تطبيق الواتس بعد أن تحدثت الى صفية ، تطمئن على حالي .

إبتسمت وكلماتها تتردد بذهني

" ياله من عجول ، هل ... و أنتِ بهذا الحال "

إتسعت إبتسامتي عندما التزمت الصمت فكتبت

" فريدة ، هل لا زلت معي ؟ "

أرسلت لها وجه خجول فلم تتطرق للأمر مجددا .

كيف تنسي وهج انفاسه وكلماته بالأمس ، لقد أمطرها بكلمات تحمر خجلا كلما تذكرتها ..

قربها من سخونة جسده كالبركان ، حتى أشعلها .

لا تذكر من منهم أطفأ شعلة الآخر ، من منهم إمتص بنهم الحب و دلل الآخر .

بعد أن هدأ التياعنا حاولت النوم ، لكن عقلي ظل متيقظ ، شعرت بيديه تحتضن يدي ، كيف برجل أن تكون يده دافئة هكذا ، واسعة هكذا .

هي ليست يد .. بل أرض ، أرض زراعية خصبة .. منتجة ، هي أساس الدفئ بل وتصدره .

ولأول مرة منذ وفاة جدتي أشعر بالدفئ فأغمض عيني ولا أعي بأني نمت قبله ..

أهتمامه بتفاصيلي ، ساعدني على الوضوء ، على إرتداء ملابس الصلاة ، رتب وسادتي كي لا يتعب ظهري من الجلوس فأستند عليها ...

إفطاري .. ولوهلة شعرت منذ زمن بعيد بأني مدللة.

***

" هذا لأجلي يا يونس "

رقتها وهي تتناول أدوات الزينة جعلتني أجثو على ركبتي أمام مجلسها .

عيناها تلمع فرحا بهدية كهذه ، تشممت العطر ثملة ، أعجبها ، وذبت في نعومتها ورائحتها التي تليق بها .

إمتدت يدي إلى الحقيبة الأخرى ..

أخرجت أحدهم فشهقت .. تضع يديها علي فمها ..

شرعت في تهدئتها بكلمات ظننتها وقاحة ..

و إذا بها تدفعني لأسقط أرضا وتتبعثر الملابس حولي ..

و إذا برنين الباب ينذر بقدوم ضيف .. " أمي "

هببتُ واقفا كمن لدغ أبحث عن مصل الشفاء ، و كأن " أمي " ستضبطني و أنا أقفز من فوق سور مدرستي .

أسرعتُ حتى لا أنال تقريعا أنا في غنى عنه.

أمي..

أميرة ..

عبد الرحمن ..

وما إن فتحت الباب حتى تفشى الجمع بالمنزل ..

جرى عبد الرحمن إلى غرفة فريدة بدون إستئذان ، هممت بالركض خلفه لأمنعه ، فإذا بأمي تمسك رسغي ..

بعينين متسائلتين .. فهمت مغزاها ولم أجب .

و إذا بالصغير يجري نحوي وهو يحمل قميصين ممن إبتعتهم ، يغني ويرقص ، يحاول أن يرتديهم ..صرخت به

" أيها ال ..."

لم تفلتني أمي .. وضعت الحقائب أرضا .. ونظرت لعبد الرحمن بحزم ، حتى ترك ما بيده ووقف جوارها ..

" مبارك يا يونس ، هذا غداء العروس ، بارك اللّه لكما بني "

وبعين دامعة إحتضنتني ، وربتت فوق ظهري ، بعد أن فطِنت بأن الأمور تسير على ما يرام .

قبلتني أميرة بخجل مما فعله ابنها ، وهموا بالمغادرة ..

" تفضلي أمي ، لا يليق مغادرتك بسرعة هكذا "

إبتسامة مقلصة علت شفتيها بحب ، وكأنما إستشعرت سعادتي ، فقررت الإنسحاب

" بل العيب مكوثي في بيت عرسان ، هنأك اللّه بها يا حبيبي "

قبلت رأسي ويدي بدموع فرح باردة وكذلك أميرة ، أما عبد الرحمن فأمسكته من أعلى ياقته ، وركلته خارجا لأهمس

" ستتسبب في طلاقي أيها الأحمق "

" لم أفعل شيئا "

هممت أشاور له بيدي ، و أغلق الباب .

تنهيدة راحة سرت بعروقي ، أتمنى رضاها ودعائها ..

" يونس "

إلتفتُ إلى مصدر الصوت .. ولبيت

***

يحمل صينية بها طعام شهي ، تمتلئ بما لذ وطاب ...

سألته

" هل غادروا ..؟ "

" نعم ، لم تشأ أمي إزعاجك ، تبارك لكِ يا عروس .. "

" أنا لم أنزعج إلا من عبد الرحمن هذا .. لقد .. "

تعالت ضحكاته عندما تلعثم قولي.. حرجا

وضع الطعام فوق السرير فصرختُ رغما عني

" لاا ا "

إلتقطتُ أنفاسي وقد بدأت طباعي في الظهور ، لكن لا بأس لنتعلم سويا خبايا أنفسنا ، خفضت صوتي لاستدرك

" لا أحب تناول الطعام في السرير .."

و إذا به يحملني ، يضعني برفق على طاولة السفرة ، ويذهب لإحضار الصينية من الغرفة ..

قبضته المحكمة أسفل فخذي وفوق ظهري ..

صلب هو يونس ، ليس قشة سهل كسرها ، وإنما حزمة من القش الصلب ، المتين .. كال.. ال .. السند..

ها هو في يومين ، يتسلل لأعماقي ، يتشعب كالأشجار عميقة الجذور بداخلي

" أمي أعدت الطعام لأجلك "

ناولني ملعقة أرز يعلوها خضروات ولحم .. يطعمني في فمي وعينيه تحكي قصص العشق ..

تناولتُ منه الملعقة

" الكسر في ساقي وليس في يدي "

أجابني بوله دسم يعلو محياه

" ليتها يداكِ "

شهقت ، قطبت حاجباي ، فتنحنح

" أ .. أقصد بأن هذا أو ذاك ، لن ينقصك بعيني يا فريدة ، أنت ست النساء "

لامس ذراعي بحب

" أنت هشة للغاية "

تنهدت بتعب

" أقتربت منكِ ، ظننتكِ ستكونين كأي زوجة تحافظ علي بيتها وزوجها ولكن "

قاطعت كلماته بحاجبين مرفوعين و أنف مجعد

" ولكن ماذا .. "

" ولكني أحببتك ، لستِ كأي زوجة أنتِ"

فعلا أنا لست كذلك ، فقد حاولت عرقلة و إسقاط والدته يوم كتابنا ..

أغلقت هاتفي وتجاهلت رسائله ..

تزوجني بقدم مكسورة ..

لا أستبعد أبدا ، إن حملت طفله وأنا في هذا الحال ...

كيف يرى وسط كل هذه الضوضاء مجالا لرؤية الهدوء والاستمتاع به ، إستمعت لقوله

" إمرأة تحدت الصعاب لتقف علي قدميها ، تحافظ على نفسها ، رغم ألمك ووحدتك نجحتِ يا فريدة ، حققت ما تتمناه أي أنثى ، كنت كعقرب الساعات . يمشي ببطئ لكنه يحدث التغيير ويبدل الكون من ليل حالك لنهار مشرق ، ليت كل العالم يراكِ بعيني "

أغمضت عيني ودمعي يسيل يرطب وهج كياني

الذي سقته كلماته عن آخره .

هكذا يراني ، نجمة ..

مقاتلة ..

قوية .. وهشة ..

عينيه ثاقبة ، ترى الظاهر والباطن ، تعريني ..

تصقل ثقتي بنفسي .. يااه يا يونس ..

أين كنت منذ زمن..

أتشمم أصابعه التي تعبث بوجهي تزيل دموعي ..

لمساته الحانية تفكك عظامي وتبنيها من جديد.

أشعاره تخبرني بأني أنثى لم أعرفها من قبل ..

قبلت كفه بأنفاس حارة ..

أطعمني مجددا ..

ثم حملني إلى غرفتي ، ليتدثر بعطري من جديد.

***

بنبضات خافقك انا اهتديت

و من تلك الدعابات الحانية ابتسمت

و من بين ثنايا اسمك كان أنسي و ونسي " يونس "

خاطرة بدر البدور..

***

الفصل السابع

ألامس أطراف شعرها ، تغفو فوق صدري ..

" فريدة "

" أمم "

همهمتها المسكرة ، الناعسة ، متحشرجة تغزو نعومة صوتها ..

ضحِكَت فقالت

" أضحكني معك "

" من يصدق أن فريدة المتذمرة ، المترددة ، المفترية ، بهذه النعومة "

" كلماتك تتنافى مع حديث الأمس "

ضحكَت أكثر ، فقالت تجذب انتباهي

" لقد تحدثت مع مديري .. "

" و .. "

إبتعدت قليلا عن صدري لتنظر الي..

" و أخبرته عن زواجنا .. ومنحني اسبوعا كاملا لنتنعم معا في العسل .."

قبلتُ جانب فمها

" العسل فقط .."

ذائبة بين يدي

" كل ما هو حلو "

خدرها انتقل الي ..فهمست

" ليس هناك ما هو أحلي منكِ يا فريدة "

فهي كحبات الجوز الصلبة .. ما إن أدغدغها بأسناني حتى أشعر بهشاشتها وجمال مذاقها المشبع بين أركاني .

***

جاءت صفية تعودني أخيرا بعد أسبوع أجازتها .. ومعها إبراهيم لمباركة زواجي ..

نظراتها المتفحصة أربكتني ..

همست بالقرب مني

" سعيدة ؟ "

لم أجب و أنا أعض علي شفتي وإبتسامة خجولة تعلوها .. بينما يتشاغل ابراهيم بهاتفه .. الى أن جاء سبب سعادتي يحمل الحلوي مرحبا بهما ..

" كيف حال عملك يا يونس "

كان سؤال ابراهيم ليجيبه زوجي ..

نعم زوجي ، الزواج يأتي من الرقم الزوجي المتزوج الملتحم الذي إن قسم على أثنين يكون الناتج بلا كسور .. هكذا هو يونس سهل المعشر ، يتقاسم معي كل شئ بل ويحمل نصيبي ايضا على عاتقه ..

" الحمد للّه ، لم أفتح المكتب منذ أسبوع "

أهتم إبراهيم لحديثه

" ليس لدي قضايا علي أي حال "

" لا بد أن تفتحه وتسعى في ضم قضايا لك ، صفيه ستساعدك منذ الغد ، فريدة فرد من العائلة وعلينا مساعدتك "

على الإمتنان محياه ، ثم نظر لي بإعجاب ..

" فريدة هي عائلتي كلها .."

سعلت صفية بضجر .. ربما لم تعجبها نحنحته .. لكنه يأثرني بنظراته وكلماته منذ زواجنا ..

لم يمكثا كثيرا ليتركونا نسعد بأيام العسل ..

غادرا وبقينا سويا من جديد..

الكل يأتي ويغادر ونحن معا .. وكيف يتركني .. فهو ملتصق بي وهذا ايضا مفهوم آخر للزواج (الالتصاق)..

نظف الكاسات .. رتب المطبخ بعد الغداء .. ساعدني في تبديل عباءة العروس تلك ، إرتديتها لمقابلة الضيوف المباركين .. كانت على ذوقه (الرفيع).. ولم يمنع نفسه من ارتشاف جرعة مكثفة من العسل وهو يبدل لي ثوبي ...أخبرته مرارا بأني قادرة علي فعل ذلك بنفسي إلا أنه يدللني ، و أنا أدمن دلاله.

في اليوم التالي صباحا .. نتناول قهوتنا بصحبة فريد وثرثرته ..

بادرته بالحديث بعملية ممزوجة بدمائي

" ستذهب للعمل مكاني يا يونس "

" أي عمل ؟ "

" مدير الشئون القانونية ، ستشغل منصبي .... لقد تحدثت الى رئيسي وقبل ، هو يثق بقراراتي "

" ومكتبي ! "

" ليلا "

" ومتى ألقاكِ ؟ "

حيرة هي ما سكنت محياه

" مكتبي هو مستقبلي وعلي السعي لأفتح هذا البيت ، لن أذهب الي عملكِ و أرتاد مكتبكِ وصفقاتكِ .. يجب أن أبني نفسي يا فريدة "

" أنت لها "

رفض بقوة

" لن أستطيع "

***

أحمل حقيبة فارغة لا أعلم لما ذهبت بها ، لكنها حقيبة فخمة تمنحني هيبة ووقار بجانب حلتي الرمادية الأنيقة ..

أتيت في موعدي بالدقيقة .. أتسلم مقاليد مكتبها ، برعايتها ، وتوجيهاتها ..

مررت علي السكرتيرة ، فبعد أن كنت عضو في فريق ، أصبحت أنا قائده ..

أوراق ومعاملات ..وصفقات ، وتوقيعات ..

رافقني صوتها طوال اليوم توجهني وتخبرني بأماكن الاوراق في مكتبها ..

تحدثني عن الصفقات وترتبها لي وفقا لأهميتها ..

وفي لحظات أصبحت خيوط المنصب في يدي .. لأحركها كما أشاء ..

لم أتخيل يوما بأن المكتب الذي دخلته يوما كي أعقد به صفقة .. قلبت حياتي رأسا على عقب .. سيكون مكتبي .. بسعته وألوانه .. وبتلك الراحة التي تصيب النفس وتأثر الروح فور الولوج إليه .. ربما هي روحها العالقة .. الساكنة جدران الغرفة .. وربما شوقي لانفاسها ودفئ مشاعرها .. هو ما يربطني بأي مكان وطئته بقدمها ..

مرت عدة أيام .. وأنا أمارس عملي برتابة ..صفية تساعدني نهارا ، و أنا أهتم بها ليلا ..

ابتعت لها عكازا لربما إحتاجت الحركة ولم يكن معها أحد خاصة مع تحسن ظهرها ..

عدت للمنزل ، سمعتها تتحدث الى أميرة عبر الهاتف ..

جمعتهم صداقة حديثة إستمتعت بها ..

و أمي في زيارتها الأخيرة لنا أبدت رضاها على فريدة .. ولا أعلم لذلك سببا سوى تنازلها عن غيرتها في سبيل سعادتي ..

أغلقت الهاتف فور رؤيتي .. إقتربتُ منها أعانق خصرها أرفعها عن الأرض قليلا ..

" أرغب في حصتي من الدلال .."

ضحكة خافتة بجانب أذني .. كانت علامة .. للإقتراب ..

***

أنظر من نافذة غرفتي ، إشتقت الخروج .. التسوق .. السير ..

حبيسة المنزل منذ شهر ..

إشتقت ولكني راضية ..

صفية ويونس لم يتركاني للحظة .. كلا منهما سند حقيقي في حياتي ، إن إبتعد احدهما إختل البناء .

أميرة ، كلما سمحت لها الفرصة لزيارتي لم تدخر جهدا في التقرب مني ..

حماتي .. أمسكتُ ضحكاتي يوم أتت لزيارتي مرة بمفردها ..

جلست-هي- بكبرياء .. لم نُصفِ ما بيننا .. نظراتها المتحفظة تجاهي ضايقتني .. أستندت على عكازي كي أحضر لها كوب شاي ، لأستبدل السكر بالملح في حركة لعينة لاغاظتها .. فهي لم تعرض مساعدتها لي أو رفضها لحركتي وكأنها تود لو أنمحي من حياة إبنها ..

عدتُ من المبطبخ متكأة على عكازي بيد ، والأخرى أحمل بها الكوب .

قدمته لها بأدب يتنافى مع فعلتي ، مدت يدها .. تذوقته ، لم تبدِ أي إمتعاض حتى أنهته عن آخره ، ربما جرعة الملح لم تكن كبيرة ، سأكثر منها في المرات القادمة طالما إستساغته .

نظرت الي طويلا ثم ..

" سلمت يداكِ "

رفعت حاجبي أجيبها بتساؤل

" هل أعجبكِ ؟ "

أغمضَت عينيها بحاجبين مرفوعين مستمتعة

" جداااا "

تنفستُ بصوت عالٍ .. بحسرة

" بعد شفائك ستأتين بيتي بالتأكيد "

ثم رفعت يديها أمامي لتردف

" وسأعد لك ما هو أشهى من ذلك الكوب "

إبتسمت بهدوء إستفزني ...

هدوء تيقنت منه أنها تخطط لشئ عظيم قد يهدد حياتي مع زوجي ..

يونس .. هو الوتد المتماسك في الأرض بقوة الذي أستند عليه الآن ، ألا يستحق مني أن أفعل شيئا لأجله ؟ ، لن يسعد بالنيران المشتعلة بيني

وبين أمه ..

هو أخبرني بأنه يثق بي .. وبعقلي وبأني لن أتمادى في إغضاب أمه..

إنفرجت شفتي بهمس

" أمي .. "

لم أنادي احد بهذا اللقب بعد موت أمي ..

لكن يونس يستحق حياة هادئة ، كما منحني كل الحياة ..

" أنا آسفة .."

" حددي على أي شئ بالضبط .."

نظرت أرضا بأسف حقيقي .. عله يهدم جدار الغضب بيننا ..

" كل شئ .. أ .. أنا .. "

تلعثمتُ وكأني أتعلم الحديث من جديد لأحسم قولي

" ربما أشعر بالغيرة منكِ لأن أولادكِ حولكِ ، أو لأنكِ أحسنتِ تربيتهم ، ربما هو شوق لأم فارقتني منذ زمن ، أو .."

لانت ملامحها قليلا دون كلام فأردفت

" أمي أنا سعيدة ، يونس منحني السعادة والأمان الذي بحثت عنه طويلا ، أميرة صارت أخت لي .. أنا حقا آسفة .."

ترقرقت عيناها بدمع كالندى .. رقيق يعكس

نسمات الصباح .. منذرة بيوم جديد

قامت لتجلس جواري لتحتضن رأسي الى صدرها..

" أنا أيضا شعرت بالغيرة منكِ ، تمسك يونس وتعلقه بكِ ضايقني ، ولم أع أنها سنة الحياة ، ليس هناك ضير من أسف قد يسعد ابني ويهدئ من حياته .."

ثم إبتعدت قليلا تعبث بشعري ووجنتي لتردف

" هل أصنع لكِ كوب شاي "

إبتسمتُ رغما عني بعد حديثها المؤثر لاقول

" بالملح ! "

لمعت عيناها لتخبط كتفي

" ليس بهذه السرعة ، ربما في عزيمة ما سأردها لكِ ، أنا لا أترك حقي ، تأكدي من هذا .. "

ومن يومها وتحسنت علاقتي بها ، تتودد الي وتعاملني كأميرة ..

لم أخبر يونس بما حدث .. فليس كل شئ يقال .. وهي فعلت المثل .

***

أجلس خلف مكتبي منهك ، فقد بدأ الوجه الآخر للزواج وهو (المسؤلية) ..

في عملي نهارا ، والمكتب ليلا ، ومساعدة فريدة التي تتخلل يومي .

آااه فريدة ..

الشقية ، التي أفسدها الدلال ..

توقظني ليلا لأحضر لها ماء ، ثم .. ثم تأتيني بحجج أعلم جيدا الى أين ستنتهي ..

" أوقد النور "

" رتب لي وسادتي لا أود النوم "

لأجد نفسي أنساق وراء طلباتها بود وحب رغم إمتلاء يومي ، و أثناء ترتيبي للوسادة ، تلاطفني ، تلامسني .. تقبل أذني ..حتى تسلمني الزمام .. تنهيدة راحة شقت صدري .. اسبلت جفني بهدوء للحظات ..

وقعت على أحد الأوراق أمامي ..

فتحت درج مهمل في مكتبها أبحث عن ورقة هامة ، ربما وضعتها السكرتيرة هنا..

مجموعة أوراق مهملة جلست أفرزها لأتخلص من زحامها ..

" كنتِ سبب في موت أختي ، أقسم بأني سأستوفي منكِ ديني عن آخره .."

" لقد وصلت لعملكِ يا فريدة .. وقريبا سأصل لبيتكِ "

" القصاص قريبا "

إنتفضتُ من تلك الرسائل وأنقبض قلبي ، فريدة قد تقدم على إيذاء أحد ..

نفضت الفكرة سريعا من رأسي ..

لكني لم أستطع زحزحة قلقي عليها ..

تناولت هاتفي لأتحدث اليها

" يونس ، هل هناك شئ ! "

ما إن وصلني صوتها حتى هدأت خفقات قلبي ..

" كنت أطمئن عليك ، هل تحتاجين لشئ ؟ "

" لا .. أميرة وصفية برفقتي "

إطمئننت عليها .. أنهيت الإتصال وذهني يطرح العديد من الأسئلة ، وجل إجاباتها لدى فريدة ..

***

عاد من العمل بوجه قاتم قلق .. وبدون مقدمات .. أخرج أوراق من حقيبته فور دخوله وسؤال قلق

يغزو نبرته

" هل آذيت أحد من قبل ؟ "

" عمَ تتكلم يا يونس ! "

ناولني الأوراق ، و إذا بأنفاسي تزداد ، لاح الغضب بعيني ، إسترجعت ذكرى مقيته

" لم كل هذا الحنق والإرتباك ، هل فعلتها فريدة ؟ "

لم أجب فكرر

" هل آذيت أحد ! "

" ابنة خالتي "

وإذا به يسقط فوق الاريكة ، صخب عينيه

ينذرني بإنفجار فأردفتُ أوضح

" لقد كانت تعاني من مرض عضال ، أنفقت خالتي كل ما تملك لعلاجها ، وكان الأمل في إجراء عملية لها لكنها مكلفة ، لذلك قرروا الاستيلاء على شقتي لبيعها ونيل المال "

دموعا سقطت من عيني ظننت أني نسيتها ..

" جدي أنجب ابنتان ، وكي لا يرثه أخوته ، كتب منزلا بأسم خالتي والآخر بأسمي حيث توفيت أمي و أنا صغيرة ..لم أكن أعلم بتكاليف علاجها يا يونس أقسم لك .. كنت اعلم بمرضها فقط .. لو علمت لفرطت في كل شئ لأجلها ، لقد كانت أختي .."

إقترب يحتضني ، أشم رائحة الحب في ثوبه والإهتمام في تربيتة يده ..

بكيتها بشدة ، عروس تبكي..

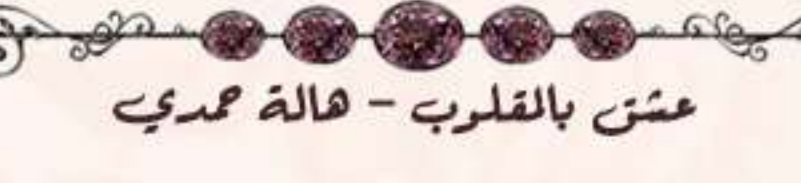
سخرية أخرى تعبث بزواجي الأسطوري ...

" علي يحملني ذنب موتها .. الذي لا أعلمه الا من رسائلة المهددة لي ، بعد مرور تلك السنوات .. أنا .. السبب ! "

حملت نفسي ذنبا لم أرتكبه ..

وضغط عليّ بقوة على عاطفتي ليستوفي دينه .. وربما يخفي ما هو أكثر من أنتقام.

***



ان قطع رحمي من ذوي دم

فقط وصل منك بألف نسيج

بدم و عشق ،بسند و دعم ، بعشرات الحكايا ،و

عشرات الوصايا ، و عشرات الربتات الحانية ✿

خاطرة من بدر البدور ..

***

الفصل الثامن

أترقب الساعات وأعد الدقائق .. أتوق لعودة سريعة من عملي لألقاها .. ذات الوجه البشوش .. بعد إزالة الجبيرة عن قدمها وتحسنها كثيرا ... بدأت شعلة النشاط تتقد بداخلها ..

أخبرها بألا تثقل على نفسها وتأبى .

ستعود لمنصبها قريبا ، رغم عدم شغفها بالأمر إلا أننا إتفقنا على منحها الوقت لاسترداد سلامة قدمها .

عدتُ للمنزل أتهافت لرؤيتها ، فوجئت بوليمة وليس غداء عاديا..

" هل سنتقاسم الطعام مع أحد ! "

" لا ، هو لنا وفقط "

ثم غمزت بعينيها التي يزينها الكحل فزاد من إتساعها

" لم ترَ شيئا بعد "

همت بالمغادرة فأمسكتها لتسقط فوق صدري

تلاطفني عينيها ، تتوغل بداخلي ، تداعب قلبي

" كيف إقتحمتني هكذا يا فريدة؟ "

ضحِكت لترجع رأسها للخلف

" لم تكن أسوارك عالية يا يونس ، كنت سهل الغزو "

تحشرج صوتي ليعكس عاطفتي

" لطالما شيدتها عالية أبية الإقتحام ، متينة اللبنات ، الى أن تخللتي بين أرجائها وتسللتي الي فجعلتني مغيبا ، لا أرى سواكِ ، ولا أتنفس إلا عيناكِ "

إلتهمت ملامح وجهي ، تتلمس خافقي ، وتدغدغ ذقني

" لم أقصد .. حقا لم أقصد غزوك ، كنت في طريقي ، أنت هدية اللّه لي ، لم أحلم يوما برجل قد يهبني أرضه وعمره وروحه كما كنت لي ، أخبرك سرا .. أنا أحبك منذ إرتشفت قهوتي ولم يكن يجرؤ أحدهم على فعل ذلك "

جاء دوري لأضحك

" كنتِ شديدة الملاحظة ، تصلحين للقسم الجنائي لا القانوني "

" كيف جرؤت على تناولها قبل تقديمها لي "

" أعتبريها أجرا لحملي لها الى أن وصلتكِ بأمان "

حاولت الافلات من قبضتي فحاصرتها ، تتنهد بحب بين يدي ، تزيد من ولهي بها

" فريدة ، أنا ، أحبك ، جدا "

" ما هذا الاعتراف المستهلك .. التقليدي "

" سأبقى أردده دوما وابدا ، وببساطة دون مرادفات وصرف ونحو ، هكذا مجردا "

قبلت وجنتي تتلاعب بي لتنفلت من بين يدي لتعد الطعام .

بعد لحظات سمعت رنين الباب .. لأستقبل امي وأميرة و .. عبد الرحمن ..

دفعتني أميرة بصدري لتزيحني من طريقها لأسمعها وهي تمر من جواري تقول

"هل أنهت فريدة الطعام .. لقد تأخرنا كثيرا عليها بسبب هذا المدلل "

ثم تبع كلماتها تذمر عبد الرحمن وهو يدلف بالتتابع خلف والدته

"لم تربطي لي حذائي .. "

خبطه على رأسه متهكما

"لا تعرف كيف تربط حذائك وأنت بهذا السن "

ثم وضعت يدي على فمه لأكمل حديثي هامسا بأذنيه

"أعلم بأني مثلك لذلك لا أرتدي احذية بأربطة .. تعلم مني "

قال بهدوء بعد ان أزلت يدي

"فريدة لا تعلم اذا .... حسنا .. هو سر بيننا "

"هل ستدخلني أم ستظل جاثيا هكذا فوق صدر الصغير "

إلتفتُ استقبلها ..

"تفضلي امي"

أنهت فريدة الطعام وحدها .. ساعدتها أميرة في تحضير المائدة .. وظل الملمس الأخير لأمي .. لنلتف حول المائدة كعائلة .. كما أخبرتني فريدة .. فقد أعدت تلك المفاجأة لي لتخبرني بحب

"عائلتك .. هي عائلتي "

شرعنا في تناول الطعام .. وإذا بفريدة تغص به ووجها يبدأ في الاحمرار .. أمي تناولها الماء .. تربت على ظهرها .. في عرض مسرحى ملخصه "الحما الأم " .. تهمس لها بكلمات .. بينما فريدة تهز رأسها وتضحك بعيون دامعة من كثرة سعالها ..

***

" سامحيني "

" اغفري لي "

" الذنب يقضي مضجعي "

أغلقتُ هاتفي ، يساورني الشك ، رسائل وصلتني اليوم ، تشعرني بالقلق وبعض الارتباك ..

بحثت عن رقمه ألتمس الدفئ في صوته

" حبيبتي ، لم إشأ إزعاجك عند مغادرتي "

حنانه يصل لعمق قلبي ليحتلني ، ليس لي غيره في هذا الكون ، يفهمني من تحشرج صوتي .. او نعومته .. رنته ..

هل ما كنت أسمعه قبل زواجي عن الرجال

أكاذيب .

أم هو استثناء !

" لقد تلقيت رسالات متعددة اليوم لأحد قد أساء لي ويريد عفوي "

كانت إجابته أسرع مما توقعت

" ربما علي "

تردد الأسم برأسي لأفكر قليلا ثم أجيبه

" في آخر حديث لنا ود خنقي ، ورسائله الكتابية كما رأيتها سابقا للتهديد ، هل بدل رأيه سريعا ويرغب عفوي "

سمعت أنفاسه وهمهماته المفكرة

" ربما هي خالتك .."

لم أفكر بها منذ زمن ، و أظنها هي أيضا

" وما الذي ذكرها بي الآن ، طالما تشعر بالندم وتود السماح لماذا الآن ، وهل تعتقد أن علي يُحملني ذنب وفاة أخته بينما خالتي لن تفعل المثل "

" الأمر بسيط يا فريدة ، أعطني الرقم الذي أرسلت منه "

إنه الحل الأسهل ، لكني لم أفكر به ، إنزيمات الخوف إرتفعت عندي فلم أفكر بأن أعيد الإتصال بالرقم .

فعلت كما طلب ، فلا طاقة لي بمتابعة الأمر بعد أن سكن فكري قليلا وتشاغلت عن ذنبي بكلمات بحماتي .. وما وضعته بصحني .. نثرت حبات الشطة فوق صحني وهي تضعه أمامي .. وتجلس جواري .. لتؤكد على مفهوم الثأر بالنسبة لها .. بينما يداها تطيب ما فعلت فتناولني الماء ...

عنيدة هي تلك الحما .. ولكني حقا أحبها ..

لن انسَ كلماتها المحبة المدغدغة لأذني .. هي إمرأة قوية .. وأنا اعشق قوتها

"أنا لا أترك ثأري يا فريدة "

ثم تذكرت المدعو عبد الرحمن عند مغادرته وهو يجذبني من ذراعي يريد التحدث الي ...

"يونس لا يحب الاحذية التي لها رباط "

عقدتُ حاجبي ولم أفهم لماذا يخبرني بهذا الأمر الغير الهام .. وإذا به يتركني ركضا ليغادر .. بينما نظرته نحو خاله تخبرني أنه يحبه وأيضا يهوى أغاظته وربما متعته الوحيدة من اخباري بأمر الحذاء هو .. افشاء سر بينه وبين يونس وفقط

***

إمرأة تخطت الستون بقليل ، حجاب يحيط بوجهها ، ترتدي جلباب بسيط في إستقبالي .

أشارت لي بالدخول

" مرحبا بني "

كان رد فعلي سريع عندما نلت رقم الهاتف من فريدة ، هاتفت الرقم الذي كان خارج التغطية في البداية ، أصررت فكررت الاتصال في أوقات متغيرة من يومي ، وقبل عودتي لفريدة حالفني الحظ برد هذه المرأة في النهاية .

خالتها.. تلك المرأة هي خالة فريدة ، تشبهها قليلا ، تحمل ذات اتساع العين ولونهما ..

تجلس أمامي بأنف متسعة ، تعاني ارتباك لم يخف على عيني ، تحك جبهتها ، و أخيرا قالت..

" سامحني بني "

أرخيت عيني وشفتي ، ثم أجبتها

" المهم ، أن تسامحكِ فريدة "

تجاوزت المرأة إرتباكها ، وتخلت عن قلقها ، لتبكِ ..

" لن أبرر فعلتي فأنا للآن أطلب العفو من اللّه .. ربما موت ابنتي كان جزاء ما فعلته بفريدة ، ظننت أن استيلائي على منزلها وبيعه أسرع طريقة للحصول على المال ، لم أفكر حينها في يتمها أو وحدتها ، كل همي كان ابنتي وانقاذها من موت محتوم ، كنت أصارع الوقت "

ثم إرتفع كتفاها نحو أذنيها بخزي

" لم أعبأ بأي أحد آخر ، لقد تبت ، وعلمت ان من شروط التوبة رد الحقوق لاهلها "

تململت قليلا في مقعدي لاقول

" لقد أخذت فريدة حقها ، أليس كذلك ، تقصدين عفوها سيدتي "

ضغطت علي شفتيها بعد أن هدأ بكائها ..

"علمت بتسلل ابراهيم الى شقتي و سرقتة ..

أقصد إستعادة عقد فريدة .. أنا أقصد شيئا آخر"

إبتلعت ريقها لتخرج من جيب جلبابها عقدا ذهبيا ثمينا ، ناولته لي لتردف

" هذا لها ، كانت هدية أحدهم لأمها فور ولادتها ، لم تفرط فيه فريدة يوما ، أعطته لابنتي لترتديه يوم وفاة أمي ، وبعدها توالت الاحداث ولم أنزعه عن ابنتي إلا يوم موتها "

"ولماذا لم تبيعيه لتستفيدي بثمنه "

"لم تكن ابنتي لتتخلى عنه .. انت لا تعرف مقدار حبها لفريدة "

كنت أستمع اليها بصبر ، أنتظر المقطع الذي يجيب علي تساؤل فريدة ، لكنها لم تجبه في قصتها فسألتها مباشرة

" لماذا الآن "

***

أقطع الكوسا الى شرائح دائرية برتابة ، وعقلي منشغل في تلك الرسائل ، لم أبدِ قلقي ليونس ، ولم أسأله مجددا عن الأمر بعد أن أخبرني بأن ذاك الهاتف مغلق ..

لم أحاول التجربة بنفسي موقنة بصدق زوجي ..

جاء دور البصل لأقطعه الى حلقات ثم أفكك حلقاته لتندمج مع الكوسا ..

خالتي .. لقد غفلت عن التفكير بها لأعوام .

طاردتني نظرات الشر وقت طردها لي من منزلي ...

راودتني الكوابيس والشعور بالألم مما حدث وقتا طويلا حتى تخلصت منه ..

ثم نما الى قلبي كرها لم أستطع منع تعاظمه مع مرور الوقت ..

حتى بعد هروبي من حيز تواجدهم ..

إنتبهت لانعقاد حاجبي و إنضمام شفتي ..

وضعت عصير الطماطم والتوابل للحلقات السابقة

لاتشاغل قليلا وتنبسط ملامحي ، ثم دفعت بها

الى الفرن .

تناولت علكة من إحدى أدراج المطبخ العلوية

لافرغ بها توتري ..

إبنة خالتي .. لقد كانت الأفضل ..

حنونة ، ربما هاجمها المرض لرقتها ، وكأن

الضعفاء لا مكان لهم في هذا العالم ..

هكذا صقلت ذاتي ، وأنا أتخلص من ضعفي

لأصبح صلبة ..

لحظات ، فقط لحظات أشعر بالتردد بين هشاشتي

وصلابتي ، الى أن ترجح كفة الأخيرة ..

لحظة ..

أنا لم أتردد في شئ منذ فترة طويلة .. منذ ..

زواجي.

بزواجي من يونس تبخر التردد ليتبقَ اليقين ..

الصواب الذي لا يحمل معنيين .

القرار الحاسم الذي لا يقبل الجدال ..

والهدوء مع قوة الافكار ..

يونس .. حقا هو ماكان ينقصني ..

لقد غذى روحي وصقلها بالثقة والثبات .. فتقهقر

ترددي للخلف حتى خفت ..

وجدت أفكاري تهدأ ، وروحي تسكن .

دوما ما تتوقف كل السلبيات .. جميعها ، إذا

ذكر يونس

***

" لماذا الآن "

هكذا واجهتها ، فردت

" لم يبقَ في العمر الكثير ..وددتُ التكفير عن ذنبي ، لقد بحثت عنها كثيرا أنا وعليّ ابني ، ولم نجد لها أثر ، حتى وقت قريب عندما غادرنا بلدتنا .."

عقدت ذراعيها في محاولة لدعم نفسها لتردف

" بعد أن توفت ابنتي لم أقوَ على العيش في المكان ذاته ، فغادرنا .. الى أن علم ولدي بمكان عملها و منزلها "

هكذا اذا وصلت فريدة رسائل ابن خالتها الكتابية ..

" تعلمين مكانها ، لماذا لم تذهبي اليها مباشرة ؟ "

وهنا أتت بخفوت ، والدموع غزت وجهها ..

" لم أستطع ، جبُنت ، خفت من مواجهتي لفعلتي وذنبي ، حقا لم أستطع رؤية قهرها وغضبها علي ، يكفيني جرحا واحدا "

مسحت مؤخرة رقبتي بتعب من تلك المواجهة ، رغم مراقبتي وحسي القانوني الأمني التشككي ، إلا أني تعاطفت مع تلك المرأة ..

" ماذا الآن ؟ ما الذي ترغبين فعله ؟ "

شاهدت دخول عاصف وارتطام باب المنزل بعنف وهذا العليّ يقتحم جلستنا بقوة .. وغضب يتنافى مع وهن و إعترافات أمه ..

وقفت بسرعة ، وعلامات الشر أحتلت وجهه فلم يبق من حقيقته الا نذر يسير ..

دفعني في صدري فسقطت على الكرسي بقوة ، كدت أسقط به علي ظهري ..

حاولت والدته جذبه وتهدأته ، لكنه لم يمتثل الى كلماتها فقلت

" لم آت للعراك يا علي "

تهكم علي كلماتي قائلا

" هل جئت للسلم ، وطرح اتفاقيات "

إبتلعت ريقي و استعددت للمعركة ، فوجهه لا ينذر بخير .. رفعت كفي أمامه في إشارة مني لمهادنة ، هممت بالوقوف وإذا به يمسكني من أعلي قميصي لأصطدم بالجدار خلفي .. و ...

***

هاتفه يرن ولا يجيب ، كررت إتصالي للمرة الرابعة .. بلا جواب ، إلتفت نحو الباب فور سماعي فتحه ، دلف الى الداخل ، وهو يحث أحدهم على الدخول بدون تنبيهي ، و إذا بسيدة أحفظ ملامحها جيدا تدخل الى منزلي ..

تنظر أرضا ، تجر قدميها و كأنها مجبرة على الدخول.

أقتربتُ منه ، وقفت خلفه ، أحاول التقاط انفاسي

..

تلصصت من خلف كتفيه لأرى وجهها ..

أمسكت بذراعه لأستمد قوتي منه ..

الألم يعتلي وجهها ، وكأنها فقدت ابنتها للتو ..

أمسكَ رسغي ليخرجني من خلفه و أنا أتمسك بظهره كطفلة تحتمي بالجدار من القطة ..

يجذبني و أجذبه ..

الى أن خرجت ليلفني بيده ، و أحتمي بصدره .. أتشبث به.

أنظر اليها بتردد ..

وتنظر الي على استحياء ..

أخرجت من جيبها شيئا ، ما إن وقع عيني عليه حتى إرتخت عضلات يدي ، مشيت نحوها ببطئ ، لامست سلسلتي الفضية التي تحيط بعنقي ، تلاعبت بحليتها ، فقد إستبدلتها بهذا العقد بين يديها .

إنه هو ، هديتي لابنة خالتي .. هذا ما بقي من جيدها ، ورائحتها ..

لامست العقد فتركته لي ، دموعا نفرت من عروق عيني ، أضع يدي بين شعري أبعثره ..

إلتزمت السكون وتجمدت كالابوسوم عندما يهاجمه الخطر ..

إرتعشت ذقني في محاولتي لوقف دموعي ..

إبتلعت ريقي ورفعت بصري اليها ببطء..

تواجهت العيون ، تبكي ، و أبكي ..

حتى سمعت همهمته .. ربما همسته التي لم أسمعها ..

فالتفت ، ولم .. لم أجده .

"أنا آسفة "

صوتها الذي لم تغيره السنوات .. عينيها التي لطالما قست عليّ .. تقاسيم وجهها التي هرمت من الحزن .. أو الشر ...

"آسفة على ماكان مني يا فريدة .. سامحيني يا ابنتي "

إهتزت عيني بضجر وأنا أجيبها

" على سرقة شقتي .. ام كرهك لي .. ام وحدتي .."

دموع لا تتوقف تذرفها .. بينما حقدي الذي عاد لي وكأن السنون لم تمر

"بعد موت والديّ لم يتبقَ احد لي سوى جدتي .. لم تتركيني أحزن عليها .. لم تمهليني وقتا كي أعي او أرتب للغد ... لحظات ووجدت نفسي بلا جدران او أمان .. جردتني من كل شئ وتركتني في العراء .. هل حددتي رجاءً ، علي ماذا تأسفين ؟ "

ذكرياتي جذبت دموعي .. أوجاعي أردتني صريعة أمام أيام قاسية مضت ...

"أم هو إعتذار على وحدتي لسنوات .. كنت امرض ولا أجد من يمد لي يدا بالدواء .. تمر الايام والاعياد والمناسبات .. تجمع العائلات في رمضان وأنا بمفردي .. والسبب ...! "

انتظرتُ إجابتها ..

"ما السبب .. أخبريني سببا واحدا لما حدث .. كنتِ تعلمين جحود عمي ولطالما شكوته لكِ ولجدتي .. بدلا من إشباعي بحنانكِ .. أشبعتني كراهية وشر .. ألم تسألي نفسكِ بأني قد أهبُ حياتي فداءً لابنتك .. ألم تري بعينيك حبي لها .. لماذا لم تخبريني بضرورة بيع شقتي ولم أكن لأرفض .. فحياتها حياتي ... "

إشتدت سحابة الدموع بعيني وصوتي يعلو ..

"ما العائد الذي نلتهِ من كل ذلك .. موت ابنتك .. تدميري .. كره زرعته بين أضلع ابنكِ.. والآن .. تطلبين العفو ! .. وكيف السماح ؟ .. "

إستدرت كي أبتعد .. أمسكتني من ذراعي .. نفضت يداها عني ...

"لست أملك كلمات أدافع بها عن نفسي لأني لست على حق .. فصاحب الحق يملك الحجة وأنا لا حجة لي .. انا استسمح طيب قلبك ونقاؤكِ يا فريدة .. الذي لم يدنسه شئ رغم ما مررتِ به .. لقد زللت .. أخطأت .. ونلت جزاء فعلتي بحرق

قلبي على ابنتي .. اقتص لكِ الجبار .. "

"إقتص لي الله يوم نسيتكِ ومحوت ما مضى من ذاكرتي .. بنجاحي وإعتمادي على نفسي .. .. "

ثم بدأت أردد كلمات يونس جميعها التي ألقاها على اذني يوما .. وبعد إنكساري شعرت بأشتداد عودي أمامها لأتركها وأغادر لغرفتي .

***

منذ زواجنا لم أرَ دمعا يزور عينيها .. إبتسامتها التي تضئ وجهها كضوء البدر الأبيض .. بدون شائبة .

اليوم كدت أذوب وهي تحتمي بي ..

تتوسلني إخفائها خلفي ..

أتمنى لو إختطفتها في بيت من الطين كالتي سكنها الأنكا قديما .. وأحيا معها حياة بدائية خالية من المنغصات .

قربتها مني لحاجتي أنا للدعم والقوة ..

كدت أخسر نفسي اليوم ..

تركت كيس الثلج من يدي ..

اتفرس تلك الكدمة أسفل رقبتي ..

لقد أجدت إخفائها عن عينيها فور دخولي ..

ذلك المختل ، (علي) إنه شقيّ ، غبيّ ، لا يليق به العلا أبدا ..

لا يتفاهم أول يتحاور يديه تسبق عقله ..

سمعت باب غرفتنا يُغلق ، حسنا ، لقد أتت ،

حاولت إرتداء قميصي الا ان أصابعها سبقتني وهي

تمرر يديها فوق كدمة أخرى خلّفها لقائي بهذا

المختل ..

تسائلت عيناها فأجبتها

" عليّ "

شهقت ، إبتعدت عن جسدي بفزع ..

" هل ضربك ؟ "

حاولت تصحيح قولها للحفاظ على رجولتي قليلا

" بل ضربته "

همهمت وهي تومئ برأسها مشيرة لكدمة وجهي

..ثم تبتسم وكأنها تخبرني بأن علي من قام

بضربي

وضعت يدي أمام عيني أحاول الهرب من تلك

المواجهة ..

لقد قيدت حنجرته ومنعته من التنفس فور أن

بدأني بالضرب ..

حاولت أن أضبط إنفعالاتي .. لكنه هو من أغضبني

..

ستنسى فريدة كل شئ الا أنني أوشكت على قتل

ابن خالتها فتركتها تفهم ما تشاء ..

" كيف وصلت إليها ؟ ألم تخبرني بأن الهاتف

مغلق"

جلست على السرير أرتدي قميصا يمنع عينيها الممتلئة بالشفقة نحوي ..

" لقد كان ، لكنه فتح "

" و "

تمددت على السرير بتعب

" أشعر بالجوع يا فريدة "

لم تملهني الوقت لآكل ، تقمصت دور المحقق كونان ، جلست جواري لتحاوطني بأسئلتها .. التي أجبتها عليها جميعها ، وبصدق ، إلا .. ضربي لعليّ

" جائع "

هكذا ختمت قصتي بعد أن جف حلقي ..

استدارت لتغادر فقلت

"كيف كان الأمر ؟ "

تبدلت ملامحها .. هل يعقل بأنها طردتها .. لم تمهلني وقتا وهي تغادر الغرفة مسرعة.

وضعت الطعام على الطاولة ، فدعوت خالتها لتشاركنا ، نظرت الى الطعام أمامي فصحتُ بها

" خلطبيطة ..."

" لا أسمح بتلك الأهانة ، هذه خضروات وليست خلطبيطة "

" بل هي ، لقد أنهيت لتوي فيلم الفأر الطباخ يا فريدة ، وها هو نفس الصحن "

" هل تشاهد الكارتون و أنت في هذا السن "

هزت قدمي بعصبية لأجيبها ..

" لقد أرسله لي عبد الرحمن عبر تطبيق الواتس "

زمت شفتيها .. أعلم أنها لا تطيق عبد الرحمن ، خاصة بعد إرتداءه لملابس نومها ..

جلست خالتها على إستحياء ..

تحك ساعدها .. واضح أن المواجهة لم تمر على خير.. لكن يعجبني إصرارها .. لقد توقعت مغادرتها .. لكنها تتسم بالصلابة على ما يبدو ..

" لا داعي لتعبك يا فريدة ، لقد أخبرني يونس بما حدث لساقك "

تجاهلت-فريدة- قولها ... تنظر لي بأهتمام ..

تناولت ال " خلطبيطة " بهدوء .. ليس درءا للشر ، و إنما لمذاقها الطيب ، أغمضت عيني كما فعل انطوان إيجو ... علها ترتبط معي بذكرى في صغري مثله .. لكنها لم تتسق مع ماضيّ اطلاقا ..

فتحت عيني على تهكمها

" صنعتها وحدي ، لم يكن لينجويني معي بالمطبخ "

ربما ضحكت علي دعابتها في وقت آخر ، لكن الآن رغبت في الحديث مع خالتها ..

***

تخللت عقلي ،و قلبي ملكت

و باناملك الحانية انا تشبثت ،

فكن عند ظني بك يا كلي ،

فعلى أعلى ثغرك، و على نبض قلبك ،عقدت
امالا ، و قدمت قلبي و جسدي و روحي لك قربانا

خاطرة هدية من بدر البدور

***

الفصل التاسع

تناول الخبز ليكمل طعامه .. يتحدث اليها

"هل لعلي مكان يذهب اليه ؟ "

لتجيبه سريعا

" بعد أن ضربته لن يفكر في العودة الى المنزل
لفترة"

تعلقت عيني به ، إبتسامة فخر تسللت لوجهي ..
حقا فعل ، يونس .. الهادئ .. يخرج عن طوره
ليضرب أحد لأجلي ..

" لست غاضبة بني ، لقد دافعت عن نفسك "

حسنا ، لم يكن لأجلي ، بل دفاعا عن النفس ...

ضاق قميصه حول صدره وهو يفتح ذراعه ليلتقط الماء جواره..شاردة حول كيفية اللقاء بينهم ..

هل حاول ذاك المعتوه ضرب زوجي .. ألم يخبره أحد بأنه يرفعني بيد واحدة ..

يحملني ويؤرجحني كطفلة و أنا بهذا الوزن .. ألم يراجع نفسه قبل البدء بالعراك معه ..

كيف خُدعت للحظة بأن علي يمكنه ضربه ..

سعل ليخرجني من أفكاري ، يشير برأسه الى خالتي الساكنة جواري ..

خبطت بملعقتي صحني بضجر ..

" أتيت بصحبة زوجكِ يا فريدة لأعتذر عما كان ، سأصبر حتى أنال عفوك ، يكفي أني خنت أمانة أختي ولم أحافظ عليكِ "

رفعت حاجباي بصبر ، أغلقت عيني فربما تختفي من حولي ، تنفست بعمق ...ثم قمت لأغادر .. وصوتها يصل الى مسامعي ..

" انا أم لكِ .. وقتما تحتاجين حضني ، سأمنحكِ كلي .. سأربي صغاركِ وأعوضكِ عن كل ما مضى .. "

لم استطع كبح جماح لساني فقلت وكأنها تسمعني

" لم تكوني أما لي كي تكوني لصغاري .."

بعد دقائق قليلة شعرت بوجوده .. لامست أصابعه مؤخرة رقبتي يدلكها .. يسعى لاسترخائي .. أملت بظهري على صدره .. ذلك الصدر الصلب الذي استشعرت قوته منذ زواجي به.. بادرني بالكلمات

"أعلم أن عفوكِ ليس بالامر السهل يا فريدة .. لكن لا تجعلي غضبكِ يعميكِ .."

إستدرت بحمية أواجه عينيه بقوة ازهقها بملامسة وجنتي بنعومة..

" أعلم وأعي شعوركِ جيدا .. "

قاطعته بهمس وعيون تبرق دمعاً

"أنت لا تعلم .."

أهه خافته فلتت من بين ضلوعي إحتوتها كلماته

" بل شعرت بكل شئ وكأنه راي العين يا فريدة منذ فتحتِ قلبكِ لي أول مرة تحدثنا .. شعرت ببرد كلماتك .. ووحدة عينيكِ .. تفهمت ترددكِ وعدم ثقتكِ بأحد .. أنا أعلم .. جيدا .. كل شئ .. أنا لا اطلب عفوا او سماح او نسيان .. انا اطلب تجاوز .. معكِ كل الوقت حبيبتي لتهدأي .. خطأ خالتكِ لا يغتفر .. لكن تجاوزكِ للأمر قوة .. وأنتِ اهلها .. "

إنتقلت يديه لشعري يبعده عن عيني في حضن .. نعم حضن .. يونس احتضن عيني وقرأ ما بداخلي وضمد جرحي .. هو لا يحملني عبأ العفو الذي لا استطيع منحه ..

ولم يأمرني بالتسامح فنبدأ شجارا لم نخضه منذ زواجنا ..

لقد رتب أوراقي وأفكاري ووضع لكل شئ وفكرة مسمى ..

عانقته بحب وتملك .. استمد منه كل المعاني التي لم أدركها بعد ..

هو ذلك المنبع لكل منطق وعقل ..

أعجبني منطقه .. وإعتنقته .....

***

أغسل آخر الأطباق ، أجفف يدي ، هكذا تقاسمنا العمل ، هي تعد الطعام ، و أنا أغسل الصحون كي لا تقف على قدميها كثيرا ..

تجلس حول طاولة المطبخ ، تداعب كوب قهوتها التي صنعته لها ..

" لم يدللني أحد منذ زمن هكذا يا يونس "

قربت كرسي منها ..

" شاوري بأصبعك ، و لبيك "

سعادة غمرت وجهها فأشرق ، وعينيها فألتمعت ، وشفتيها فقالت

" ألم أخبرك من قبل بأني أحبك "

رفعتُ حاجباي بالتزامن مع إبتسامة بدأت في الإتساع ..

" أعرف .."

" يالك من واثق .."

أمسكت كفها ، وضيقت عيني بمرح

" لم أكن أسمعها .. بل كنت أراها في إختفاء ترددكِ ، في إحتمائكِ بي ، في كل سر أخبرتني به .. ، رأيت حبكِ في تسليمي مفاتيحكِ جميعها فلم أتعب في البحث ، و أنت تقدمين نفسكِ لي ككتاب مفتوح لأعبث بصفحاته ، و أقرأها على مهل .."

سكنت ..

" فريدة المتشككة .. المترددة .. تمنحني منصبها ، أوراقها ، خبايا عملها ، وكيف تفعل إن لم تكن تحب ..؟"

راحة استشرفت وجهها وكفها .. فأردفت

" بل تعشق .."

" عشق ، بالمقلوب "

هكذا قالت .. ولم أفهم ..

" من المفترض أن أبحث أنا عن مفاتيحك ، أن أخبرك بمدى حبي ، أن أصنع قهوتك ، و أرتب أمورك .."

" لقد فعلتِ ، فعلتِ ما هو أكثر يا فريدة ، .. لقد منحتني أغرب قضية قد أصادفها يوما ، منحتني غموضا وكبرياء زلزل روحي ، ليأخذني منتشيا بقربك .. وتفكيك ثغراتكِ "..

" كيف برجل أن يكون مثلك .. ، لابد أن

يصبح أسمك أنت فريد "

" بل يونس ، الصابر .."

ضحكت لتقول مشيرة بأصبعها نحوها

" صابر على المصائب "

أمسكتُ يدها الأخرى

" بل على الطاعات ، ليس كل الصبر بلاء "

غلبتها ، وكذلك أفعل دوما و أستلذ بالنصر الذي يأتي منها ، فهو نصر بالحب .. و التفاهم .

" بمناسبة العمل ، أريدك أن تكمل في منصبك .."

" والمكتب "

" أعلم أنه لا فائدة من المكتب يا يونس ، لن تخفِ الأمر عني كثيرا "

فركت ذقني .. لتردف

" لقد تحدثت الى مديري وهو من طلب مني ذلك عندما أخبرته في البحث عن أحد للمنصب ، فأنا لن أعمل .. فأجابني أن أقنعك بالاستمرار فيه .. "

ارتشفت قهوتها مستطردة

" كي لا تشعر بالشفقة ، لم أطلب منه ، بل هو من طلبك "

" ولماذا ستتركين عملك ، لقد شغلتي المنصب منذ اثنى عشر عاما "

تركت قبضتي لتلفني بيديها الناعمة ، تمسك كفي وتفتح أحد أصابعي لتقول بدلال

" أولا .. لأني أحببت المنزل .. الزوجة مكانها بيت زوجها "

" هذا بيتك وليس بيتي على كل حال "

تجاهلت قولي لتكمل

" ثانيا .. لتصفي مكتبك وتعيد لوالدتك مالها "

ثم فردت أصبعي الثالث لتقول و إبتسامتها تتسع ..

" ثالثا ، كي أعتني بطفلي يا يونس "

أملتُ رأسي جانبا ، ضيقت عيني .. فهمت ببطئ ما تعني .. قمت لازيح كرسيّ لاعانقها ..

عناق دافئ .. قبضة محكمة حول خصرها .. لم أشعر الا و أنا أرفعها عن الأرض قليلا لالف بها في بطئ ، تجتاحني السعادة ..

أنزلتها ، قبلتها .. وبصوت صارخ قلت

" أحبك .. أحبك ، أحبك "

وهي تتلقف سعادتي ، تضحك وفقط ، سجنت عينيها بين عيني لأخبرها بأنه لا فكاك ، جاءت حلقة الوصل لتقيد الحب ، فلن أفلتها بل سأخلق ألف قيد .

***

أراقب سكناته وتحركاته بصبر، أستشعر إنفجارا

قريبا ..

عبد الرحمن

هذا الطفل الرجل..

الحكيم الصغير ..

الواشي برقيّ ..

لقد أخبرني بكل ما قيل في حقي من قبل جدته " حماتي " ..

الحلو .. والمر..

" جدتي في البداية لم تكن تتحمل رؤية وجهك يا فريدة .. لقد كان لقبك " "فريدة المتجبرة "

ثم صدحت ضحكاته .. ذلك الفتى ، نشرة اخبارية متحركة ملحة .. ستعلمك بالخبر رغما عنك ...

" ولا أعلم سببا لتبدل حالها فقد بدأت تنهرني عندما أناديك بهذا الأسم أمامها "

لست أدري ، أغضب ، أم أفرح !

غلى الدم في عروقي ، وتجاوز غضبي التل إرتفاعا ، و إذا بباقي كلماته كما الماء البارد في قيظ نهار رمضان .

كلماته وتهكمه ، سابقا لسنوات عمره التي لم تتجاوز العشر سنوات .

مسدت بطني ، موضع جنيني ، والقلق يأسرني

خوفا من القادم .

أدقق في هفوات تربية ذلك الطفل كي أتفاداها مع صغيري .

هو ولد بالمناسبة ..

طفلي ، ولد ..

قد يشبه عبد الرحمن ، شعره الناعم الذي يعلو عينيه ، يعطيه نعومة ليست متسقة مع لماضته .

ترك الحديث ليقترب من خيطي ، يقذف ببكرة الخيط لآخر الرواق ..

" أنت ، ماالذي فعلته ! "

" أساعدك في فك الخيط ، لتسرعي في غزل ذلك الجورب "

جعدت أنفي بغيظ ليردف

" ألا زال الوقت مبكرا على هذه الجوارب "

خبطت رأسي بكفي ، ثم مسحت وجهي بيدي بصبر

" وما شأنك أنت ! "

ثم نظرت في الساعة لاقول

" لقد تأخرت والدتك كثيرا ، هاتفها ، لقد مللت صحبتك يا هذا "

و إذا به ينفذ ما قلته بالحرف ، هاتف والدته ، أخبرها بأني مللت منه .. وهكذا سيتسبب في

شجار بيني وبين والدة يونس وابنتها .

أمسكته من قفاه فور إغلاقه للخط .

إنخفضت به ، ثم شددت ياقته لأرتفع به ..
كررت الامر مرارا أعذبه

" لقد رضيت عني حماتي أخيرا و أسقطت عني لقب فريدة المتجبرة ، ماذا ستفعل بي الآن بعد معرفة ما أخبرتك به ، منك لله ، ستتسبب في قتلي يوما ما ، ولعلمك ، لن أستضيفك هنا ثانية "

تعلق بقدمي صارخا

" لا يا فريدة ، أرجوك ، سألتزم الادب ، أنا أحب الحديث معك ، لا أريد الذهاب الي عمتي "

تنفست برضا

" إذا إعتذر ، و أخبر والدتك بأني دللتك ، وصنعت لك الكيك والسحلب "

" ولكنك لم تفعلي "

كانت كلمات يونس الذي اغلق الباب خلفه ..

فتركتُ الصغير لأربت على شعره بحنان ، وكأني لم أبعثر كرامته منذ قليل ، بدأت في هندمته أمام يونس ، أنفض عن شعره تراب وهمي ..

" كنت ذاهبة في الحال لأحضره له ، هل أعد لك واحدا ؟ "

" قهوة يا فريدة ، صداع يفتك برأسي "

***

جلستُ أمسك رأسي بعد أحداث طويلة مرهقة في العمل ..

أجلست عبد الرحمن جواري ، أدللّه .. فقريبا سيصبح له أخت قد تحتل مكانه بالكامل ..

أميرة حامل هي الأخرى ، حملها تحفه المخاطر وغير مستقر ، يتطلب تحاليل دورية ، فتترك عبد الرحمن بصحبة فريدة .

" هل أكلت ؟ "

هكذا سألني فأجبت

" لا .. "

ثم إقترب مني ليهمس

" أنا جائع .. "

وارتسمت ملامح الأسى علي وجهه فتسائلت عما تفعله فريدة بهذا الصغير في غياب أمه ..

أخرجت من جيبي حبيبات الحمص ، فأنا عاشق له ..

وورث الصغير عشقي فقفز فرحا لمرآه ..

تركته أمام التلفاز لأذهب اليها ..

عانقتني ، عناقها أذاب تعبي ..

بدد إرهاق ذهني ..

رائحتها خدرت عقلي ، أثملتني فأغمضتُ عيني

لتهمس لي

" هناك رجل بالخارج "

أخرجني قولها من حالة اللاوعي لحالة التأهب ..

" أين ؟ "

أشارت الى الخارج حيث عبد الرحمن فضحكت

" إنه طفل "

أبعدت يديها عني ، وإتخذت البعد مسافة قاسية بيننا..

" أنت لا تعلم شيئا عن صغار هذا الجيل ، هذا الطفل ، يطويني كالورقة البالية ويلقيني من النافذة "

قطبت فأردفت

" أو يجعلني حلقة حول أصابعه .. هذا التعبير اوجز "

لم أسفه قولها لمعرفتي بعبد الرحمن .. إستهوتني الفكرة ، ودوما ما تكون أفكارها صائبة ، ربما لن أتركه معها بمفرده مرة أخرى..

لقد تطرفت بفكري ، لكن ، كيف أمنعها عن الناس جميعا لأجعل إهتمامها لي وحدي ..

تهاتف صفية ، تغامرني غيرة منها لأنها تشغل بالها ..

إهتمامها بعبد الرحمن يثير حفيظتي ..

إبراهيم الذي اهتم بها وثار لحقوقها .. تمنيت

للحظات لو كنت انا من فعل ..

لقد رحمني الله أرقا قد ينغص علي عيشي إن تمسكت بعملها ..

عيناها الخاطفة .. كيف ينظر لها رجل غيري..

شفتيها الناعمة ، كيف تتحدث لغيري ..

أنفها الشامخ ، يديها الرفيعة ، بأصابعها الطويلة ..

ليتني أخبئها عن الجميع لتصير متعتي وحدي ..

لست أنانيا .. بل أناني ، من منا ليس متملكا في الحب .

***

شروده بعيني أقلقني .. عينيه تحدثني رغم بعد المسافة بيننا ..، إبتسامة ثغره المنتشية ، تخبرني بشروده ..

إغماضة عينه ، تحدثني عن عشقه لي ..

هذا العاشق لازال يعطي ، يغمر ، يروي قلبي .

كم مرة أخبرتكم أني احبه ..

هذا الغيور المتملك ..

تخبرني عينه مالا ينطق به لسانه ..

ليته يغار من عبد الرحمن فيرحمني من صحبته البهية ..

لامست جبينه أسأله

" ما بك ؟ ما سبب الصداع! "

وكأنني ذكرته ، فتناول القهوة من يدي ليقول

" أحدهم يخرب عملي "

حاز على جل إهتمامي

" من ؟ "

" لا أعرف حتى الآن ، لكن حتما سأوقع به "

" لابد أن تأخذ إحتياطاتك يا يونس ، لا ينقصنا فضيحة أخرى "

مسح وجه بإنهاك

" وهذا ما يرهقني ، بسبب زلتي السابقة ، إن حدث ذلك مجددا فسأجلس بكِ وبأمي ، وعبد الرحمن ، وربما لو عملنا في بيع الذرة "

" حمص الشام مربح أكثر "

أخرج من جيبه حبات الحمص ليضع القليل بفمي ..

" حقا ، الحمص مربح جدا "

حاول جذبي اليه مرة أخري حتى إستمع لصوت نقيق الضفدع بالخارج

" أنا جاااائع "

***

الفصل العاشر .. الأخير

ورقة أخرى تختفي من مكتبي ، وهذه المرة ورقة هامة ، سيتوقف عليها صفقة اليوم ..

وللمرة الثانية تسرق الأوراق مني .. في عملي الجديد .

صوت يأتي من خارج مكتبي ..

إقتربت من الباب ، لأستمع لذاك الهمس

" هذه الورقة ستتسبب في رفده ، بل تدمير مستقبله نهائيا "

إنتفض جسدي ، و إنقبض قلبي ، تدمير ، أذى ..

عن أي أذى تتحدث تلك ..

فتحت باب مكتبي لترتعد ويسقط الهاتف منها لأستغل إرتباكها

" مع من تتحدثين ؟ "

" م.. ع ..، مع عميل سيدي "

" ما أسمه هذا العميل الذي يرغب في تدمير مستقبلي ! "

رمشت بعينيها في إرتباك ، إلتفت حول مكتبها لأجلس مكانها بينما هي لا إراديا تتنازل عن كرسيها لي .. لتقف أمام مكتبها ... وكأنها عروس ماريونت أحركها كيفما أشاء .

جلست أفتح أدراج مكتبها بوجه بارد ، بينما هي ترتعد أمامي ..

لم أجد شيئا فسألتها مباشرة ..

" أين الورقة الخاصة بمناقصة (..) "

أجابت بتردد

" أي ورقة ! "

خبطت على مكتبها بقوة ، فانتفضت كالفأر الذي يخشي إنقضاضة القط ..

" لقد سمعتك تتحدثين الى أحدهم ، من يهمه تدميري يا ترى !.. أقسم بأن أدمر مستقبلك وحياتك جميعها ، أنت لم تر الوجه الآخر لي على ما يبدو "

تناثر العرق حول وجهها .. لتجيب

" علي ، إسمه عليّ ..حصل على هاتفي وطلب مني تلك الورقة تحديدا "

" وبماذا وعدك "

" المال "

" أين هي ؟ "

إقتربت من حقيبتها لتخرج ما أبتغيه .. وفي كلمات مقتضبة قلت

" لقد إنتهى عملك معي ، إستعدي للمغادرة "

***

أطرُق بابها والغضب يشتعل بأوصالي ، غضب يتصاعد تدريجيا كالنار التي تلتهم العشب ولا تفرق بين أخضر أو رماد ، منذ غادرت مكتبي وعلمت الفاعل ، وشعور الانتهاك يثير أعصابي .

فتحت لي بعين متسائلة ، رحبت بي ثم أفسحت الطريق لأدخل ، وتسقط عيني على " عليّ " .

رفعت قبضتي و أنا في طريقي للدخول مشيرا اليه

" أنت .."

ليقف متحفزا لمواجهتي ..

أقترب منه خطوة ويبتعد عني خطوات .

" لماذا تلاحقني ؟ "

" وما شأني بك ؟ "

لازال يراوغ إذا ، ، يلتف حول الاريكة ليحتمي بظهر والدته ، فصحتُ به

" تحاول تدميري ، وكأن بيننا حروب وليس رحم ، زوجتي ابنة خالتك يا هذا ، عندما تدمر مستقبلي ستدمرها بالتبعية "

إحمر وجهه ليقول

" عليك أنت ، و هي اللعنة "

شهقت والدته ، إلتفتت اليه في بطئ ، لتواجهه بخزيه

" ألم تنتهِ بعد يا علي ، ما الذي فعلت ! "

صاح بها ، وخرج من حمايتها الى مواجهتها..

" لم ولن ننتهِ يا أمي ، كيف تسامحيها وقد كانت سببا في موت أختي ؟ "

صرخت به

" بل نحن السبب في موتها ، ما فعلته بفريدة كان السبب ، هي من وجب عليها لومنا ، بل وقطعنا ، لقد حاولت أن أسترضيها لتسامحني ، فلماذا لا تفعل أنت ؟ "

إلتقطت أنفاسها لتردف

" ما تفعله أنت الآن لن يعيد أختك ، ولن يريحها ، لطالما كانت فريدة أختا لها ، لا أصدق ما فعلت ، كنت أبحث عنها لانال عفوها بينما أنت ترجو الانتقام ، لماذا ، ولمن ؟ "

كلماتها كبلتني فلم يتبقَ لي شئ .

ألجمته بحديثها ، إنتظرت إعتذارا ، لكنه رفع عينيه بتحدي ، ليقول

" أنت ، من أين أتيت ، هل كان الأمر ينقصك "

" في الحقيقة كان ينقصك أنت "

" هي لا تستحق رجل مثلك "

سكن جسدي ، وقلت متعجبا

" عفوا ؟ "

تقطعت حروفي عندما أدركت قوله جيدا

" هل تكن مشاعر ما ، لزوجتي يا هذا ؟ "

أشرت الى صدري ، أنسبها لقلبي ، ليزداد حدة

" أحمل مشاعر لتلك المتحذلقة المغرورة ، لطالما إستحوذت على كل شئ ، الإهتمام من الجميع ، الدلال الذي أفسدها "

" أنت لا تعلم شيئا بعد عن فسادي "

إلتفت لأجدها أمامي ، فريدة .

دلفت بدرامية حازمة ، وملامح صارمة ، أعادت الي ذكرى عملي معها كمديرة .

لم أكترث بكيف ومتي أتت بقدر ما آلمني حديثها

" ماذا تعلم أنت عن فساد إمرأة عاشت بمفردها سنوات ...، عن إمرأة بلا أهل أو سند في تلك الحياة تصارع لبناء ذاتها "

صمتت لتلتقط أنفاسها فأكملتُ عنها

" بل كيف كنت تنام وتحيا يا مدعي النخوة والرجولة وابنة خالتك لا تعلم لها أرضا ، تنتهك بيتها لتنزع عنها ملكيتها وتلقيها كالقمامة لتتخلص من جرمك "

أكملت الحديث عني وكأنه نوتة موسيقية نقوم بعزفها سويا

" أي مبرر وذنب تلقيه على عاتقي يا علي لتنتقم من زوجي وعمله ، ما شأنه بانتقامك ، لست سببا في موت أختك ، تلك الكذبة المضحكة التي تصدقها وتريدني أن أحيا أصارع الالم

لتنتشي أنت ، لا ، لم ولن أصدقها ، و إن قطعت الرحم أنت فلن أصله أنا ، و إعلم أن زوجي هو ما أملك في هذا الكون ، إن إقتربت منه مجددا سأغرس أنيابي بلحمك و آكلك حيا "

ثم إلتفتت لي

" هيا بنا يا يونس "

شعرت بالفخر وهي تدافع عني ، تلك اللبؤة الشرسة .

خرجت بقوة من المنزل وأنا أتبعها ، وما إن إقتربت منه حتي همست قربه

" تجرأ و إقترب منها ، وسأعد لك قضية محكمة البنود ، لن تخرج منها و إن إجتمع فريق قانوني لتبرأتك "

***

ركبت سيارته ، وبراكين ثائرة بداخلي غضبا من علي ، كيف جرؤ على أذيته .

لم يجد سوى يونس ..

الوتد الذي أستند عليه ..

رحيق حياتي التي كانت خراب دونه ..

علي .. هذا المختل ..

يخطط لفناء زوجي ..

تفرست جانب وجهه بشرود ، ما إن شعر بي حتى قال

" كيف عرفتِ ؟ "

" سكرتيرتك "

عينيه على الطريق ، لم يلتفت الي ، ينتظر توضيحا

" لقد حدثتني تتوسلني بألا تؤذيها ، وتعتذر ، تبكي "

همهم بهدوء

" لماذا خرجتِ بدون إذني "

" علمت وجهتك ، فخشيت أن ... "

قاطعني بنظرة منهكة

" لا مبرر لخروجك يا فريدة بدون معرفتي "

تراجعت دفاعاتي فأنا أعلم خطأي .

وتقهقرت رجولتي التي استنفِذت منذ لحظات أثناء مواجهتي مع علي .

لتظهر أنوثتي وخجلي الذي لا يعرف مكانا الا أمامه.. همست معتذرة

" آسفة "

إبتسم ليقول

" عجبتني أيتها النمرة "

إبتسامته ، رتبت غضبي ، وقلمت ثورتي .

عنده أخلع عباءة أي شئ يقلقني .

" أنا آسفة لما لحق بك بسببي "

" لا ، لستِ كذلك ، لا تحملي نفسك ما لا تطيق ، فقد كان خطأه "

أدار المقود بيسر ليتفادى سيارة أمامه ليستدرك

" لم أكن أعلم بخسته ، يبدو أنه لن يعود الى رشده "

" ومنذ متي كان راشدا ، منذ الصغر وهو يلومني على إهتمام جديّ بي ، لم يدرك نعم اللّه عليه من أب و أم ، و أخت ، أليست نعم يا يونس حُرم منها غيره "

نظرة ألم .. تنهيدة .. إختلاجة فكه .. أخبروني بالجواب ..

يتألم لأجلي .. مد كفه ليحتوي كفي ، يعتصرها بحب ..

يمنحني ما فقدته منذ زمن ..

" رغم كل ما مضى إلا أني لم أحقد على أحد منهم ، إنتابتني نوبات غضب ، كره ، إلا إنني لم أفكر يوما في الانتقام ، رغم أنهم آذوني .. وعندما ندمت خالتي واعتذرت كنت افكر حقا في تجاوز الأمر كما نصحتني ، فقد إشتق الرحم من إسم اللّه الرحمن ووعد بمن وصلها وصله .. لكن بعد فعلة علي ، لا أظن بأني سأحيا بأمان ، دوما سيسعى للنيل منا ... لن أستطيع تجاوز أذاك يا يونس .. فليتوقف كل شئ أمام سلامتك . "

إشتدت قبضته ، يزكي كلامي ويستطيبه ..

" من أين لكِ هذا العقل يا فريدة ، لقد تمنيت بأن ينتهي الأمر على خير "

" يكفي بأنك كنت حلقة الوصل .. لقد بادرت حبيبي .. لكن الرد هو الجفاء .. كيف سآمن على صغيري معهم .. لن يتوان علي عن أذيته كما فعل معك .."

"لندع الايام تصلح الأمر .. "

"هناك أشياء تفسدها الأيام يا يونس ولا تصلحها .. لن تكون خالتي اول القاطعين .. بل وعمي .. هو لم يسرق مني شيئا .. لكنه أيضا لم يمنحني شيء .. لو يعلم احدهم المعنى الحقيقي للصلة وبركتها لما قطعها أحدهم "

هدوء اكتنف روحي وانا استشعر هذا المعنى ..

لن أندم يوما على ما قلت ..

"خالتكِ كانت ضده بالمناسبة ونهرته .. لم تكن تعلم برغبته في الانتقام "

أغمضت عيني أنشدُ هدوءا بات غريبا عني .. لم يُكمل حديثه .. وأنا إلتزمت الصمت ..

شعرت بنبض صغيري يشاركنا جلستنا وينبه معدتي وعقلي لأشعر بالجوع ..

" لم أعد الغداء اليوم .. هل ..؟ "

لم أكد أكمل حتى توقف بجانب مطعم صغير ، يستعد للمغادرة ، ليحضر لي ما أحب .

أغلق سحاب فستانها ..

أثبت طرحتها فوق شعرها المصبوغ بلون الذهب ..

أنهت زينتها ، فبدت كشقراء فاتنة ..

بياض بشرتها يليق ببريق فستانها ..

اليوم .. هو عرسي ..

أينعم جاء متأخرا عامين كاملين ..

إلا أنه اليوم الذي تحلم به كل فتاة ، ووجب علي تحقيق ذلك الحلم .

ساعدتها بكل شئ ..

حتى بدت كنبتة منعشة نمت بنهر كاستيلس بديع الالوان .

أدرتها ببطئ تقطعت معه أنفاسي ..

إلتهمتها نظراتي ..

وانتثرت شظايا عطرها بقلبي ..

حطت يديها فوق عنقي

" هذه البيجاما لا تتناسب مع فستاني و أناقتي يا يونس "

ثم أشارت الى من يتابع هذا المشهد الدرامي عن بعد ، لتردف

" ولا مع هذا الشبل .. أخبرني ماذا سنفعل به "

أحطتُ خصرها ، أقبلها على مرأى من الصغير

" دعيه يشهد دلال أمه "

إبتعدتط أمسك كفها ..

" لحظات .. سأعد نفسي لهذه الامسية ، حمام سريع وسأبدو كعريس يليق بجميلته "

غادرتُ سريعا كي احظ بليلتي منذ بدايتها .. مياه دافئة تبدد إرهاقي مع الصغير .. الذي بوجوده تبدلت أشياء كنتُ قد ظننت بأنها لن تحدث أبدا .. فيوم الولادة تواجدت خالتها التي تصر منذ شهور على محادثتها بينما فريدة ترفض .. الى أن حان وقت قدوم الصغير الى الحياة ..

أتت بموافقتي ..بينما غضبت فريدة ..

إتصالاتها لم تكف كي تطمئن عليها ...

ومع كلمات كثيرة ومحاولات أكثر .. نلت موافقتها على التحدث اليها منذ ساعات .. وكانت المرة الأولى التي تتبادل الحديث معها (حمدا للّه .. شكرا لكِ)وأغلقت الخط ..

ضحكت والمياة تنهمر فوق رأسي .. كم هي بخيلة .. إلا معي ..

كم هي قوية .. إلا بين يدي ...

كم هي عنيدة .. نرجسية .. متحكمة ..

الا معي .. تكون .. معطاءة ، فياضة المشاعر .. ضعيفة بحاجة لقوتي .. بسيطة وإنقيادية لقراراتي ..

نفضت الماء عن رأسي .. تزداد ضربات قلبي شوقا لها ...

أغلقت الصنبور سريعا .. لن أصبر ولو لثانية واحدة ..

***

تركني و أنا .. أنا ..

ملكة ، هكذا قال ، ولطالما أصدقه ..

هو من جعلني كذلك ..

لامست حذائي الابيض .. ذو الكعب العالي .. المزخرف .. إرتديته ببطء .. استلذ بهدوء و حماس يدغدغ خافقي ..

أثبت خاتمه في إصبعي .. أدلك كفي ببعضهما في سعادة .. إقتربتُ من قفص فريد .. بجوار فريدة ..

نعم .. لقد إشترى يونس له زوجه .. وسماها فريدة على اسمي .. هاهي تقترب منه .. تداعب ريشه بمنقارها .. فيبتعد فريد ..

هذا الفريد الحاد لن يصلح زوجا أبدا ...

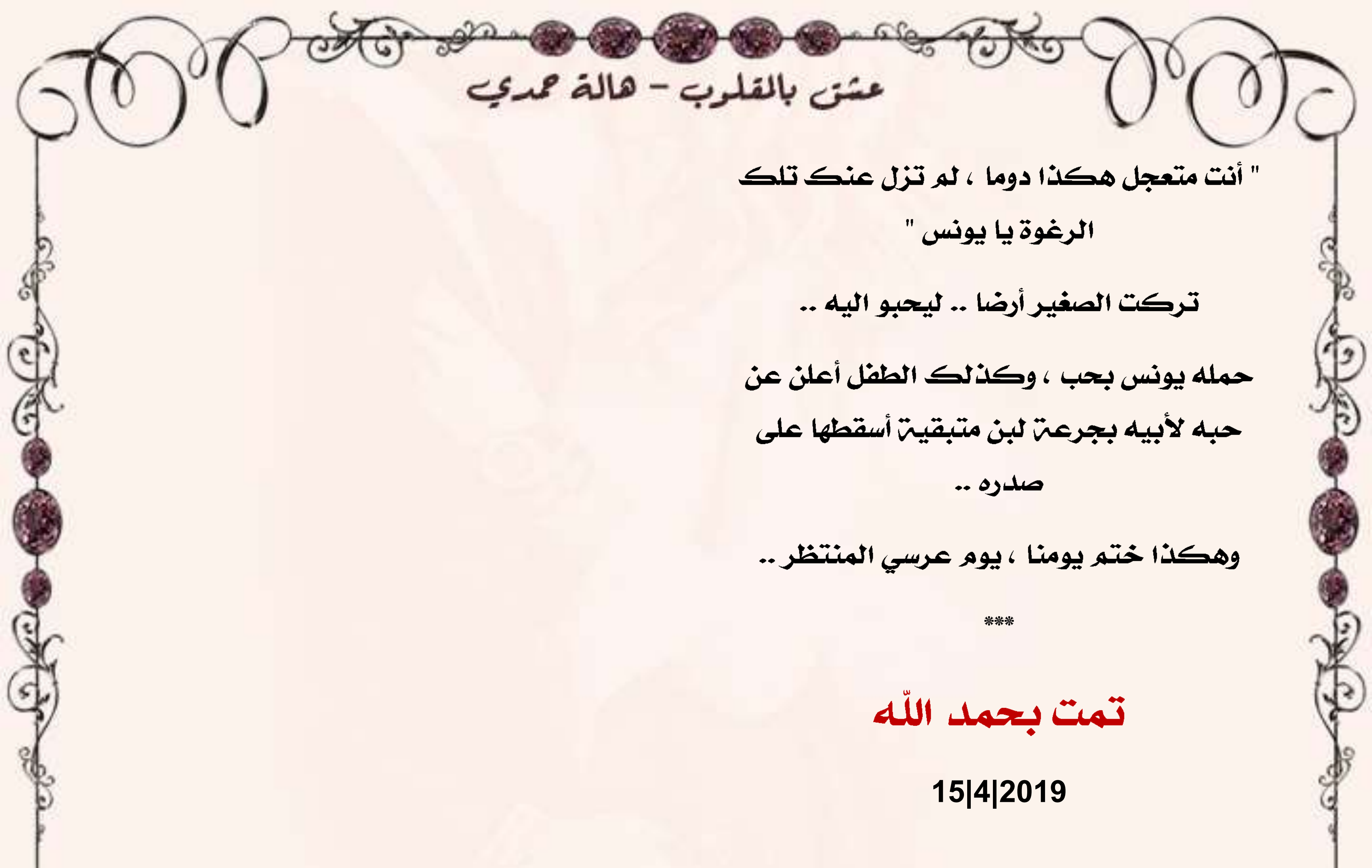
ثم إلتفت الى الأمير الصغير ، إقتربت لأحمله و أحتضنه ، وهو يربت على ما ظهر مني ، لا ، هو لا يلعب ، يبدو جائعا ..

خلعت طرحتي ، جلست أرضا .. أرضعه ..

إستمعت لصراخ يونس عندما رآني

" تبا لكِ فريدة .. أفسدتِ ليلتي "

نظرتُ له بصبر ، والصابون يعلو كتفيه .. فأشرت إليه



" أنت متعجل هكذا دوما ، لم تزل عنك تلك الرغوة يا يونس "

تركت الصغير أرضا .. ليحبو اليه ..

حمله يونس بحب ، وكذلك الطفل أعلن عن حبه لأبيه بجرعة لبن متبقية أسقطها على صدره ..

وهكذا ختم يومنا ، يوم عرسي المنتظر ..

***

تمت بحمد الله

15|4|2019